بورخس وأنا

حوارات وأسرار تُنشر لأول مرة

لوركا • كوكتو • هيوز • بلاث
كاسونا • هسه • بوفوار



ترجمه عن الاسبانية: حسين نهابة

سطور للنشر والتوزيع

ترجمه عن الاسبانية: حسين نهابة

بورخس وأنا

حوارات وأسرار تُنشر لأول مرة

سطور

بورخس وأنا

حوارات وأسرار تُنشر لأول مرة

يتمتّع كتابُ (بورخس وأنا) الذي تَرجمَ منجزاتٍ أدبيةً من اللغةِ الاسبانية لأدباء تمكّنوا منْ تركِ بَصَماتهم واضحةً في بناءِ الصّرحِ الأدبي والثقافي للبشريةِ ومنْ مختلفِ المجتمعاتِ والدول.

نقرأُ لشاعرِ اسبانيا لوركا ، وللألماني هرمان هسه وللإنكليزي برتراند رسل ، وللفرنسية سيمون دي بوفوار وعديدٍ من الكتّابِ الاسبان والأرجنتينيين نصوصاً ابداعيةً تُرجمت منَ الاسبانية الى العربية. ولعلّ بعض المنجزاتِ المترجمةِ حازتْ على أهميةٍ كونها تُترجَم لأوّلِ مرةٍ الى اللغةِ العربية، وهكذا فقد وفّر لنا الكتابُ فرصةً ثمينةً للتعرفِ على منجزات هؤلاءِ الادباءِ الراحلينَ الذينَ تركُوا بَصَماتهم في تشكّلِ المشهدِ الحضاري للإنسانية.

الناقد عبد علي حسن

ISBN: 978-9922-608-76-1

SUMER
Printing, Publishing&Distribution

سطور
دار سطور للنشر والتوزيع
بغداد - شارع المتنبي - مدخل جديد حسن باشا
07700492567 - 07711002790

بورخس وأنا

حوارات وأسرار تُنشر لأول مرة

بـــــورخـــــــس وأنــــــــا

ترجمه عن الاسبانية : **حسين نهابة**

الطبعة الأولى- سنة 2019

ISBN: 978-9922-608-76-1

سطور للنشر والتوزيع

دار سطور للنشر والتوزيع

بغداد شارع المتنبي مدخل جديد حسن باشا

هاتف: 07700492567 - 07711002790

Email: bal_alame@yahoo.com

SUMER

Printing, Publishing & Distribution

LUXEMBOURG - 2-c Crauthemerstrooss - L-3334 HELLANGE

+352 671531017

بورخس وأنا

حوارات وأسرار تُنشر لأول مرة

لوركا • كوكتو • هيوز • بلاث
كـاسـونا • هـسّـه • بـوفـوار

ترجمه عن الاسبانية:

حـسـيـن نـهـابـة

سطور
للنشر والتوزيع

مقدمة

الترجمة والحوار الحضاري

تنهض الترجمة بمهمة ودور حضاري كبيرين تنبهت له الشعوب منــذ زمن ليس بالقصير، إذ جعلتها وســيلة مثلى للتعرف على فنون وآداب الآخر ومعرفة الكيفية التي تفكر بها الأمم، الأمر الذي صار من المُســلّم به، بل ومن ضرورات البنــاء الحضاري لأي مجتمع من المجتمعات. ولعل مبررات تلك الضرورة الوقوف على ما وصل إليه الآخر والتفاعل مع منجزه وترحيل ما يمكن ترحيله وما يتناســب وموجهات المخيال الجمعي للمجتمعات، بغية التحاور والمساهمة في البناء الحضاري والمعرفي للإنسانية جمعاء، وبهذه الصيغة فقد أسهمت الترجمة في تقصير المســافات بين الشــعوب والمجتمعات المختلفة، ومهّدت الطــرق للتلاقح الحضاري والمســاهمة في تحقيق إضافات نوعية تصب في مجرى الحوار الإنساني الشامل، ومن هنا يتمتع كتاب (بورخس وأنا) الذي ترجم منجزات أدبية من اللغة الاسبانية وهي من اختصاص الشــاعر والمترجم حسين نهابة الذي يتمتع كتابه هذا بأهمية بالغــة، كونه يترجم لأدباء تمكَّنوا مــن ترك بصمات واضحة في بنــاء الصرح الأدبي والثقــافي للبشرية ومن مختلــف المجتمعات والدول، فنقرأ لشــاعر إســبانيا الرائع لوركا وللألماني هيرمان هسّه وللإنكليزي برتراند رســل وللفرنسية ســيمون دي بوفوار وعديد من الكتاب الإســبان والأرجنتينيين نصوصــاً إبداعية تُرجمت من

الاســبانية الى العربية. ولعل بعض المنجــزات المترجمة حازت على أهمية، كونها تترجــم لأول مرة الى اللغة العربية، وبــذا فقد وفّر لنا الكتاب فرصة ثمينــة للتعرف على منجز هــؤلاء الأدباء الراحلين الذين تركوا بصماتهم في تشــكل المشهد الحضاري للإنسانية. وتجدر الإشــارة الى تضمين الكتاب منجزات توزعت بين المقابلة والشعر والدراسة وسواها من الأشكال الأدبية .

الناقد عبد علي حسن

الفهرست

1. "نصف رغيف وكتاب" – الكاتب الاسباني: فدريكو غارثيا لوركا 9
2. "آخر لقاء مع فديريكو غارثيا لوركا" 72
3. "قراءة وامتلاك كتاب" – الكاتب الالماني: هيرمان هسّه 35
4. "مقدمة سمفونية" – الكاتب الإسباني: غوستافو أدولفو بيكر 39
5. "أناس يمتلكون كل شيء..." – الكاتب الفرنسي: جان كوكتو 34
6. "بورخس وأنا" – الكاتب الأرجنتيني: خورخيه لويس بورخيس 45
7. "القصيدة الأخيرة للشاعر البريطاني تيد هيوز الى سيلفيا بلاث" 74
8. "ممنوع الانتحار في الربيع" – الكاتب الإسباني: اليخاندرو كاسونا 63
9. "لأجل ماذا عشت؟" – الكاتب البريطاني: برتراند رسل 67
10. "سرفانتس واللغة الاسبانية" – الباحثة الارجنتينية: سوزانا مارتوريل دي لاكوني .. 69
11. أفضل عشرة كتب لـ "ميغيل دي سرفانتس" 18
12. "مفهوم الحياة" – الكاتب الإسباني: خوسيه اورتيغا اي غاسيت 85

13. "اليخاندرا بيثرنيك: القصيدة الملعونة الأخيرة" – الكاتب الارجنتيني: اينس مارتين رودريكو 91
14. مقتطفات من "ضباب" – الكاتب الإسباني: ميغيل أونامونو 95
15. "خطة فلسفية" – الكاتب الإسباني: بيو باروخا 101
16. "أسباب الاقتباس من سيغموند فرويد" – الكاتب الإسباني: خوسيه لازارو 105
17. "نصوص مُنتقاة" – الكاتبة الفرنسية: سيمون دي بفوار 111
18. "رافائيل سانجيث فيرلوسيو، حجر الهيكل الأخير" 121

"نصف رغيف وكتاب"

الكاتب الإسباني: فدريكو غارثيا لوركا

نص الخطاب الكامل الذي ألقاه الشاعر الإسباني "فدريكو غارثيا لوركا" في أيلول / سبتمبر 1931 أثناء افتتاح المكتبة العامة للقرية التي وُلد فيها "فوينته باكيروز-غرناطة".

أعزائي أبناء قريتي وأصدقائي

قبل كل شيء أود أن أقول لكم بأني لا أتكلم بل أقرأ. أنا لا أتكلم، لأن الشيء ذاته حدث مع "كالدوس" ومع جميع الشعراء والكتّاب الذين مرّوا بنا، لأننا اعتدنا قول الأشياء بسرعة وبطريقة دقيقة، ويبدو أن الخطابة هي أسلوب تذوب فيه الأفكار ولا تبقى منه سوى الموسيقى اللطيفة، فيما تحمل الريح باقي الأشياء.

اعتدت أن تكون كل محاضراتي مقروءة، أي أنها عملية أكثر مما هي نظرية، لكن التعبير في نهاية الأمر يظل أكثر رسوخاً لأنه مكتوب وثابت، ويمكن أن ينفع في تعليم الناس الذين لا يسمعون او غير الحاضرين هنا.

لابد أن أعبِّر عن امتناني لهذه القرية التي وُلدتُ وقضيتُ طفولتي السعيدة فيها، للتكريم الذي لا أستحقه، من خلال تسمية الجادة القديمة للكنيسة باسمي. مُخلصاً أقدم لكم شكري من الأعماق. حين

أكـــون في مدريد أو أي مكان آخر، يســـألني الصحفيون او أية جهة أخرى عن ولادتي، فأقول لهم بأني وُلدتُ في "فوينته باكيروز" القرية الناضرة الحرة التي تحمل بمجدها وشهرتها، لطافة وحداثة. جميعكم تعرفـــون بأن المدح الذي أكيله لها كشـــاعر وابن لهـــا، نابع من عدم وجود قرية أخرى أكثر جمالاً وغنى وقـــدرة عاطفية من هذه القرية الصغـــيرة في عموم ريف غرناطة. لا أريد أن أقلل من شـــأن أيٍّ من القـــرى الجميلة في ريف غرناطة، لكن لديَّ عينان في وجهي وبعض الفطنة لأُثني عـــلى قريتي الغافية على هـــذا الغدير. من كل الجهات تصدح الســـواقي وتنمو أشـــجار الحور العالية حيث يتردد صدى الريح بموســـيقاها العذبة صيفاً. في قلبها يجري نبع لا ينقطع وتعلو سقوفها القرميدية جبال الريف الزرقاء بعيدة ونائية، وكأنها لا تريد لصخورها أن تصل الى هنا، أرض نابضـــة غاية في الترف تنمو فيها كافة أنواع الفواكه.

طبيعة ســـكانها مميزة عن باقـــي القرى المُتاخمة، فصبـــي "فوينته باكيروز" يُعـــرف من بين ألـــف، بظرافته وقبعتـــه المائلة الى الخلف وحركات يده أثناء الحوار وأناقته. وعادة ما يكون ســـبّاقاً بين جموع الأجانـــب في تقبل فكرةٍ معاصِرةٍ، ومد جـــسر العون بمبادرة نبيلة. ستعرفون فتى "فوينته" بين ألف من خلال رشاقته، حيويته واجتهاده في التفوق.

إن ســـكان هذه القرية لديهم إحســـاس فني بالفطرة يمكن لمسه بوضوح بالأشخاص الذين وُلدوا فيها. إحساس فني بالسعادة التي تحملها الحياة.

في مناسبات عديدة لاحظت، أثناء دخولي للقرية، جلبة وحركة نابعتين من قلبها. ضجيج ونغمة لحماس اجتماعي وإدراك بشري. لقد زرت آلاف القرى الصغيرة مثل هذه، وتمكنت من شمِّ الحزن الدفين الذي يُولد مع الفرد ليس فقط جرّاء الفقر، بل عن الاحباطات وعن الجهل. إن القرى التي تعيش مُلتصقة بالأرض فقط، يتكوّن لديها انطباع مُرعب عن الموت، ما لم تنهض بها أيام ملونة ناثرةً سلامها الاجتماعي عليها.

هنا في قرية "فوينته باكيروز" ثمة توق للتقدم والتمتع برغيد للحياة، انطلاقاً من الحماس الفني وحب الجمال والثقافة.

لقد رأيت الكثير من الرجال المُتعَبين عائدين من حقولهم الى المنازل، يجلسون هادئين كأنهم تماثيل، بانتظار يوم آخر وآخر وآخر، بالوتيرة ذاتها دون أن تثور في أرواحهم رغبة في التعلم. رجال عبيد للموت، لا يطال أرواحهم البشرية أي بصيص للنور او للجمال، فهذا العالم، حسب رؤيتهم، لا يوجد فيه سوى الحياة والموت وهناك ملايين البشر الذين يتحدثون، يعيشون، ينظرون، يأكلون، لكنهم موتى، أكثر موتاً من الصخور، وأكثر موتاً من الأموات الحقيقيين الذين ينامون تحت التراب، لأن أرواحهم ميتة. ميتة مثل طاحونة لا تطحن، ميتة لأنها لم تجرب الحب، ولا بذرة التفكير، ولا الإيمان ولا التطلع للحرية التي لا غنى عنها عند الإنسان لكي يتمكن من أن يكون جديراً بهذا الاسم. هذا هو واحد من البرامج التي تُؤرقني كثيراً في الوقت الراهن، أصدقائي الأعزاء.

حين يذهب أحد الى المسرح او الى حفلة موسيقية او احتفال من أي نوع، فإنه يتأسف، إن أعجبته الفعالية، على الأشخاص الذين يحبهم، والذين غير موجودين معه هنا ويقول مع نفسه "سيروق هذا لأختي، لأبي" ولا يستمتع بالمشهد سوى من طريق حسرة خفيفة. هذه الحسرة التي أشعر بها، ليست لأجل أفراد عائلتي فحسب، بل لأجل جميع المخلوقات التي بسبب نقص الوسائل ولسوء حظها، لا تتلذذ جيداً بجمال الحياة، الطيبة، الهدوء والعاطفة.

لهذا السبب لا أمتلك أي كتاب، لأني أهديه حالما أشتريه وأنتهي من قراءته، ولهذا السبب أنا هنا مُتشرف بكم وسعيد باعتلاء منصة مكتبة القرية هذه، الأولى على محافظات غرناطة كلها بالطبع.

"ليس بالخبز وحده يحيا الانسان. وإن شعرتُ بالجوع والعوز في الشارع، فلن أطلب رغيفاً، بل سأطلب نصف رغيف وكتابًا. وأحمّل المسؤولية منذ الآن وبقوة أولئك الذين يطالبون بتحسين المستوى الاقتصادي دون أن يتحدثوا عن المستوى الفكري الذي تطالب به الشعوب بعنف". البشر جميعهم يأكلون، لكن ليسوا جميعهم يعرفون. أتمنى أن يتمتعوا بكل فواكه الروح الانسانية، وإلّا أصبحوا ماكينات في خدمة بعض الطبقات وعبيداً للمنظمات الاجتماعية المُرعبة.

أشعر بالأسف الشديد على إنسان يريد أن يتعلم ولا يستطيع، أكثر من تأسفي على إنسان جائع، لأن الجائع يمكن أن يهدِّئ جوعه بسهولة بكسرة رغيف او فواكه، لكن الانسان الذي يتطلع للمعرفة ولا يمتلك الوسائل، سيعاني من احتضار مُريع لأنه يحتاج الى كتب،

الى الكثير من الكتب، فأين هذه الكتب؟

كتب، المزيد من الكتب! لابد أن أذكر هنا كلمة تستحق أن تُقال: "حب، حب" ولابد للشعوب أن تطالب بها مثل مطالبتهم بالخبز، ومثل اشتياقهم للمطر لأجل مزروعاتهم". حين كان الكاتب الشهير "فيودور ديستوفكسي" أب الثورة الروسية أكثر من "لينين" مسجوناً في "سيبيريا" مُبعداً عن العالم بين أربعة جدران قريباً من سهول الثلج الشاسعة المقفرة، كان يطلب إغاثةً من خلال رسائل يبعثها الى عائلته البعيدة قائلاً: **"ابعثوا لي بكتب، كتب، الكثير من الكتب لكي لا تهلك روحي"**. كان يشعر بالبرد فلم يطلب النار. كان يشعر بظمأ، ولم يطلب الماء، بل كان يطلب كتباً، أيَّ آفاق، أي سلالم ليعتلي قمة الروح والقلب، لأن الألم الجسدي المُبرح والبايولوجي والطبيعي للجسم بسبب الجوع، العطش او البرد، يدوم قليلاً، لكن احتضار الروح الظمأى يستمر طول الحياة.

يقول الكبير "مينيندز بيدال" أحد علماء أوروبا الحقيقيين، إن شعار الجمهورية يجب أن يكون: "ثقافة". فقط من خلالها يمكن أن تُحل المشاكل التي يعاني منها في الوقت الحالي الشعب المليء بالإيمان، غير المتشبع بالنور. ولا تنسوا أن النور هو أساس كل شيء، وإنه استوطن بعض الأفراد فخلقوا المعرفة وأشاعوا الأمم التي تعيش وتكبر من خلال الأفكار التي وُلدت في عدد من الرؤوس المتميزة.

وعليه لا تتصوروا مقدار الفرحة التي انبثقت فيَّ حال وصولي الى المكتبة العامة لـ "فوينته باكيروز". مكتبة تزخر بكتب مُنتقاة، صوت

ضد الجهل ونور عامر ضد الظلام.

لا أحــد تنبَّه، حين يكون بين يديه كتاب، الى الجهد، الألم، ســهر الليالي والدم الذي صُرف. الكتاب دون منازع، عمل إنســاني جبّار. كثيراً ما نجد شــعبا نائما، مثل مياه بركة راكــدة في يوم لا ريح فيه، وليس هناك أدنى حركة تعكر هدوء هذا الماء. الضفادع تنام في العمق والعصافير واقفة على أغصان الأشــجار المحيطة بها. وفجأة تسقط حجارة. ســترون انفجاراً من الدوارات المتمركــزة التي تحيق بها، وأمواجاً كروية تتزاحم مع بعضها تتحطم على الحواف. ستشهدون هياجــاً غير متوقع للمياه، فيما تتحــرك الضفادع في كل الاتجاهات، مُحدثة اضطراباً على الأمواج، وحتى العصافير التي كانت نائمة على الأغصــان الوارفة، تقفز مُتهيئة أسراباً للتحليق في الســماء الزرقاء. كثيراً ما نجد شــعبا نائما، في حين أن كتابًا واحــدًا او كتبًا يمكن أن تحرّكه وتحدث فيه هياجاً وتفتح له آفاقاً من الرقي والتفوق.

كم من الجهد يتطلب من الانســان لإنتــاج كتاب! وأية تأثيرات كبيرة يُحْدِثها وأحدثها وســيُحْدِثها! وقــد قالها العبقري "فولتير" إن العالم المتحضر بأجمعــه يُحكم بعدد من الكتــب: الانجيل، القرآن، وكتب كونفوشــيوس وزرادشــت. إن الروح والجســد، الصحة والحرية، والمال تخضع وتعتمــد على تلك الكتب العظيمة. وأضيف أنا: إن كل شيء ينتج من طريق الكتب، فالثورة الفرنســية خرجت من الانسكلوبيديا وكتب "روسو" وكل الحركات العمالية والشيوعية الحالية انبثقت من كتاب "رأس المال" العظيم لكارلوس ماركس.

لكن قبل أن يتمكن الإنســـان من إنشاء الكتب ونشرها، لابد أن نفكر في المأســـاة والصراع المرير الـــذي خاضه من أجل هذا الهدف. كان الانســـان البدائي يعمل كتبـــه من الحجر، أي إنـــه كان يكتب رموز أديانـــه فوق الجبال. لم يكن لديه وســـيلة أخرى، فكان ينقش على الحجر حنينه واشـــتياقه للخلود والبقـــاء على قيد الحياة، والذي يميز الانســـان عن الحيوان. ثم بدأ يستخدم المعادن. هارون، كاهن العبرانيين، شقيق موسى كان يحمل الألواح المنقوشة من الذهب على صدره، وكذلك أعمال الشـــاعر اليوناني "هيسيودو" الذي كان أول من رأى آلهة الشعر ترقص فوق قمم جبال "هليكون"، كانت تُكتب على صفائـــح من الرصاص. ثم بدأ الكلدان والآشـــوريون يكتبون مخطوطاتهم وتأريخهم على الآجـــر، فكان لديهم مكتبات عظيمة من الألواح الفخارية، لأنهم كانوا شعباً مُتحضِّراً ومُتفوِّقاً في علم الفلك، وهم أول من بنى الأبراج العالية وخصَّصوها لدراسة قباب السماء.

كان المصريون يكتبـــون على بوابات معابدهم المُدهشـــة، وفوق قطع نباتية مســـتطيلة قابلة للطي، تُدعى "بردي". وهنا يبدأ الكتاب الفعـــلي. ولأن المصري كان يمنع تصدير هـــذه المادية النباتية، ولأن شـــعب "بيركامو" كان يرغـــب بامتلاك مكتبة وكتباً، بدأ يســـتخدم الجلود الجافة للحيوانات، للكتابة فوُلد "الرِّق" الذي انتصر فيما بعد على "البردي" واستعمل كمادة متفردة لصناعة الكتب، حتى أُكتشف الورق.

إنني إذ أتحدث لكم باختصار عن هذا التاريخ، لا تنســـوا بأن بين حدث وآخر قرونًا عديدةً، لكن الإنســـان ما يـــزال يكافح بأظافره

وعيونه ودمه من أجل الخلود، إشاعة وترسيخ الفكر والجمال.

حين يحدث لمصري أن لا يبيع "برديًّا" لأنه بحاجة إليه او لأنه لا يريد، مَن "بيركامو" سهر ليالٍ، أيامٍ وسنواتٍ بأكملها مكافحاً من أجل التوصل للكتابة على جلود الحيوانات الجافة، أي رجل او أي رجال، أولئك الذين يبحثون وسط أوجاعهم، عن مادة ينقشون عليها أفكار حكمائهم وشعرائهم العظام؟ لم يكن رجلاً واحداً ولا مائة رجل. إنها الانسانية بأجمعها، دفعت بعجلتهم الى الأمام على نحو خفيٍّ.

وبـ"الرق" الذي أُعتبر بؤرة نور حقيقية للثقافة الكلاسيكية، تم إنشاء مكتبة "بيركامو" العريقة. وبه كُتبت مخطوطات عظيمة. يقول "ديودورو دي سيسيليا" : إن الكتب الفارسية المقدسة كانت تأخذ حيِّزاً في "الرق" لا تقل شأناً عن الألف ومائتي جلد من جلود الثيران.

كانت "روما" بأجمعها تكتب بـ "الرق". كل أعمال الشعراء اللاتينيين العظام، والتي تعتبر قدوة خالدة من حيث الإتقان والجمال، كانت تُكتب على "الرق" ومنه "الفردوس المفقود" لفيرجيل. وعلى الجلد الأصفر ذاته كانت تلتمع الأنوار الكثيفة للكلمات الزاهرة للإسباني "سينيكا".

ووصلنا الى الورق. عُرف الورق منذ قديم الزمان عند الصينيين أولاً. كان يُصنع من الرز. واعتبرت هذه الصناعة قفزة جبّارة في تاريخ العالم، وتحولًا نوعيًّا في الحضارة، بدخول الورق الصيني الى الغرب. إنه اليوم المجيد 7 تموز / يوليو عام 751 ميلادية. ويتفق

المؤرخون العرب والصينيون على هذا الشأن.

وحدث أن العـــرب بصراعهم مع الصـــين في كوريا، تمكنوا من عبور حدود "الامبراطورية الســـماوية" وأسر الكثيرين منهم، والذي كان مهنة بعضهم صناعة الورق، ومنحوا العرب سرَّها. حُمل هؤلاء الأسرى الى سمرقند، حيث مارسوا مهنهم تحت حكم الخليفة هارون الرشيد، الشخصية الغريبة التي غرست قصص "ألف ليلة وليلة".

كان الورق يُصنع من القطن، لكن بسبب قلة المنتوج هناك، شرع العرب إلى صناعته من الخرق القديمة، وهكذا ســاعدوا على ظهور الورق الحـــالي. لكن الكتب لابد أن تكون على هيأة مخطوطات. كان يكتبها ناسخون، رجال صابرون ينسخون صفحة تلو أخرى بإتقان ورقـــي، لكن كان هؤلاء الاشـــخاص الذين يمتلكـــون هذه المَلَكة نادرين .

كانـــت مخطوطات الـــورق أكثر شـــيوعاً حتـــى وإن كانت بين الطبقات العليا، من مجموعات البردي المطوية او الرق الذي ينتسب الى المعابد. وبهذه الطريقة أُنشـــئت الكثير من الكتب دون أن يختفي الرق، وظلت مادةً تُرسم عليها بعض الفنون الراقية بألوان حية غاية في الجمال، وما تزال بعض المكتبـــات تحتفظ بالكثير من هذه الكتب التـــي تُعتبر مثل جواهر حقيقية أكثر قيمة من الذهب ومن الأحجار الكريمة. وقد قرأت بفرح غامر العديد من هذه الكتب التي وقعت بين يديّ، ومنها بعض المخطوطات العربية في مكتبة "الاسكوريال" وكتاب "التاريخ الطبيعي" لـ "البرتو ماغنو"، وهو مخطوطة منذ القرن

الثالث عشر موجودة في جامعة غرناطة، والتي قضيت معها ساعات بأكملها دون أن أتمكن من أُبعد عيوني عن صور الحيوانات المرسومة بفرشـــاة أكثر نعومة من الهــواء، حيث الألوان الزرقـــاء، الوردية، الخضراء والصفراء تشكل لوحات كأنها أرغفة من ذهب.

لكن الانســـان ظل يطلب المزيـــد. كانت البشريـــة تدفع بعض الرجـــال لكي يفتحوا بفـــؤوس نورهم الغابة الغبيـــة جداً للجهل. أضحت الكتـــب، التي من المفترض أن تكـــون للجميع وفي مقدمة الاحتياجـــات، مقتصرة على الأثرياء. ففي الجبال، الســـهول، المدن وضفـــاف الأنهر، كان يموت ملايين البشر الذيـــن لم يتذوقوا مطلقاً نكهة الحرف. إن الثقافة الكبرى للأقدمين كانت منسية، والخرافات المُريعة كانت تخيم على سرائر المجتمع.

يُقـــال إن وجع المعرفة يفتح الأبـــواب المُقفلة، وهذه حقيقة. هذا القلق الغامض للإنســـان، دفع اثنـــين او ثلاثة لإجراء دراســـاتهم وأبحاثهم، وهكذا ظهـــر في القرن الخامس عشر في مدينة "ماكونثيا" الألمانية، أول مطبعة في العالم. وتنافس العديد من الأشـــخاص على الاخـــتراع، لكن "كوتنبرغ" يُعد أول من نال بـــراءة اختراعها، وقام بتأســـيس الحروف العمودية وختمها، وبهذا تمكـــن من إعادة إنتاج النماذج النهائية للكتاب. ما أجمله من شيء بســـيط! ما أجمله من شيء صعب! قرون وقـــرون انقضت قبل أن يتمخض العقل البشري عن هذه الفكرة. وأصبحت مغاليق الأسرار جميعها تحت أيدينا وتحيط بنا بثبات، لكن كم من الصعوبات وُوْجِهَتْ لفتح الفجج الصغيرة التي كانت تعيش مُتخفية!

أحداث قليلة في تاريــخ العالم تُعد أكثر أهمية من اختراع المطبعة، ومنها الحدثان الكبــيران، اختراع البارود واكتشــاف أمريكا. فإذا كان البــارود قد عمل على إنهاء الاقطاعيــة ووحّد الجيوش الكبيرة والقوات الدولية بعد أن كانت متفرقــة بين النبلاء، ومهّدت ولادةُ أمريكا لحياة جديدة لحمولات التاريخ وأنهت السر الجغرافي الألفي، فإن الطباعة ســوف تتسبب بثورة في الأرواح أكبر من التي قامت بها بعض المجتمعات. يا لها من ولادة صامتة وخجولة! بينما كان البارود يفرقع نيرانه الوردية على الحقول، والمحيط الاطلسي يمتلئ بالمراكب المترعة التــي تتأرجح مع الريح ذهاباً وإيابــاً مُحمّلة بالذهب والمواد الثمينة، كان "كريســتوبال بلانتيونو" من مدينة آمبرز يعمل بصمت لوضع قاعدة متينة للمطبعة ولأكثر المكتبات أهمية في العالم، فكانت في نهاية الأمر الكتب الرخيصة.

إذن الكتب القديمة التي تبقى نسخة او نسختان او ثلاثة من كل واحــد منها، تتراكم على أبواب المطابع وعــلى أبواب بيوت الحكماء تطلــب النجدة لتُطبع وتُترجم وتُنشر عــلى وجه الأرض. تلك هي اللحظة العظيمة للعالم. إنها (النهضــة). إنه الفجر المجيد للثقافات الحديثة التي تعيش بها.

قبــل قرون عديدة من هذا الحدث، وبعد ســقوط الامبراطورية الرومانية والتوســعات البربرية، وانتصار المسيحية، أصبح الكتاب في خطر كبــير. كانوا يقومون بهدم المكتبــات وبعثرة الكتب، فكان علم الفلسفة وقصائد الأقدمين على وشك الاندثار، بما فيها القصائد الهوميرية، أعمال افلاطون، الفكــر الإغريقي، نور أوروبا، القصيدة

اللاتينية، قانون روما، وكل شيء. وبفضل حرص واهتمام الرهبان، لم ينقطع الخيــط، وعملت الأديــرة القديمة على إنقاذ الإنســانية. والتجأت الثقافــة والمعرفة بأجمعها الى أروقــة الأديرة، حيث حفظ ودرس الرجال الحكماء والبســطاء دون خيال ولا تصلب، الأعمال العظيمة التي لا يســتغني عنها الإنسان. لم يقوموا بهذا فحسب، بل درسوا اللغات القديمة لاستيعابها، وبهذا منحوا الفرصة لفيلسوف وثني مثل أرسطو أن يتأثر بالفلســفة الكاثوليكية. وخلال العصور الوســطى، جمع وحفظ رهبان "آثوس" عــدداً لا يحصى من الكتب، ولهم يرجع الفضل فيما وصلنا من أجمل الأعمال القديمة.

وهكذا بدأت تباشــير الهــواء النقي للنهضــة الإيطالية وبدأت المكتبات تنتــشر في كل مــكان. وأُخرجت الى النــور تماثيل الآلهة القديمــة، تتصدر المعابد الجميلــة جداً برفعتهــا المرمرية، وفُتحت أكاديميات مثل "كوزمي دي مديثيس" التي تأســســت في "فلورنسا" لدراسة أعمال الفيلسوف إفلاطون، ولم يتورَّع البابا الكبير نيقولاس الخامس عن إرسال وسطاء الى كافة أنحاء العالم لاقتناء الكتب ودفع مبالغ كبيرة الى مترجميه.

مع هذا الثراء المعرفي، كانت الخطوة الأعظم للمؤلف "كريستوبال بلانتينــو" في آمبرز. كان من تلك البيوتات التي تكســوها أشــجار اللبــلاب نوافذ من الرصاص التي أخرجــت الى النور كتباً رخيصة تضطــرم رغبة في الانتصار عــلى الجهل الذي كان متفشــياً بوجوه عديدة، ولا يغرب عن بالنا أنه حيث يوجد الجهل، فمن السهل جداً أن يختلط الشر مع الخير والحقيقة مع الكذب.

ومن الطبيعي أن أصحاب النفوذ ممن كانوا يمتلكون مخطوطات وكتباً من الــرق، كان يهزؤون من الكتب المطبوعــة بورق على أنها أشــياء قابلة للتلف ويمكن أن ينالها الجميع. كانت كتبهم مرسومة بثراء بزخارف من ذهــب، بينما كانت الأخرى مكتوبة بحروف على ورق بسيط. لكن في أواسط القرن الخامس عشر، وبفضل الرسامين الاندلســيين الرائعين، إخوان فان كوخ، الذين كانوا الســباقين في الرســم بالزيت، ظهرت النقوش على الكتب التي امتلأت بالصور والتي ساعدت القارئ على نحو ملحوظ. وفي القرن السادس عشر، اســتطاع العبقري "البرتو دوريرو" من تطويرها، فمكّن الكتب من أن تُصاغ مع مناظر طبيعية، هيئات مُصوّرة، ورسومات، وتواصلت عملية اتقانها وتطويرها خلال القرن الســابع عشر، لنصل الى القرن الثامن عشر، حيث معجزة اللوحــات وقمة جمال الكتب المصنوعة من ورق.

وتُوج القــرن الثامن عشر بمطبوعات جميلة. كانت الكتب المليئة بالنقــوش والصور، تُطبع باهتمام وشــغف كبيريــن. ورغم التقدم الهائل الــذي تلاها ولغاية القرن العشريــن، إلا أن طباعة الكتب لم تتطور كثيراً.

ولم يعد الكتــاب منفذاً للثقافة عند القليلــين، إنما أصبح عنصراً اجتماعياً فعّالاً، إذ انبجســت "الثورة الفرنســية" التي تُعد أول عمل اجتماعــي للكتــاب، رغم الاضطهــادات والظروف الســيئة التي تعرضت لها.

لم يستطع الاضطهاد أن يقف بمواجهة الكتاب، ولا حتى الجيوش ولا الذهب ولا الظروف البائسة، لأنكم ربما تستطيعون إخفاء كتاب، لكنكم غير قادرين على قطع آلاف الرؤوس التي انتجته.

لقد قُمعت الكتب من قبل الكثير من الفئات والأديان، لكن هذا لا يعني شيئاً بالمقارنة مع محبيها. إذا كان أمير شرقي متعصب قد أحرق مكتبة الإسكندرية، فإن اسكندراني مقدونيا أرسل لبناء صندوق ثمين جداً من المينا والأحجار الكريمة ليحتفظ بـ "إلياذة هوميروس" وصنع العرب في قرطبة تحفة "مراحب" لمسجدهم لأجل أن يحتفظوا في أعماقها بـ "القرآن" الذي ينتسب الى الخليفة عمر. وانتشرت المكتبات في جميع أرجاء العالم رغماً على كل مخرّب، ونراها اليوم حتى في الشوارع وعلى الهواء الطلق لحدائق المدن.

الكثير من دور الطباعة والنشر تعمل جاهدةً كل يوم على تخفيض الأسعار ليكون المطبوع في متناول يد الجميع، سواء الكتب اليومية العظيمة (الصحف) او الكتاب المفتوح المتكون من صفحتين او ثلاث الذي يصل فوّاحاً وبمداد أخضر، هذه الوسيلة التي تسمع من خلالها أحداث العالم دون انحياز على الإطلاق، من خلال آلاف الجرائد التي تُعد نبضات صادقة لقلب العالم بأجمعه.

للمرة الأولى في تاريخها القصير، يكون لهذه القرية بداية مكتبة. المهم في الأمر أن نضع حجر الأساس، لأنني والجميع سنتعاون لكي ينهض المبنى. إنه فعل مهم أن يمتلئ قلبي فرحاً وأن أتشرف بأن يرتفع صوتي في يوم الافتتاح، هذا لأن عائلتي تعاونت بصورة غير

اعتيادية لدفع عجلة الثقافة هنا. والدتي، مثلما تعرفون كلكم، علّمت الكثير من سكان هذه القرية لأنها جاءت الى هنا لكي تُعلّم، وأتذكر جيداً بأني كنتُ في صغري أسمعها تقرأ بصوتٍ عالٍ ليكون مسموعاً مـن الجميع. وأجدادي خدموا هذه القرية بـروح حقيقية، حتى أن الكثير من الموسـيقى والأغاني التي ما تزال تُنشد، كانت من تأليف شـاعر قديم من عائلتي. لهذا أشعر بسـعادة غامرة في هذه اللحظة وأتوجـه للأثرياء طالباً منهم يد المسـاعدة بمنح المال لشراء الكتب وأن يضعـوا هذا العمل في مقدمة أولوياتهـم كواجب. **أما الذين لا يملكون المال الكافي، فأطالبهـم بالحضور للقراءة، أن يحضروا لبذر الأفكار الذكية كوسيلة متفردة للتحرر الاقتصادي والاجتماعي**. من الواضح أن المكتبة تُغذّى بكتب جديدة وقرّاء جدد، وأن الأساتذة لم يعودوا يجتهدون في تعليم الأطفال بطريقة نمطية، مثل ما يزال يفعل البعض للأسف الشديد، بل عملوا على إضفاء روح ونكهة للقراءة.

ما أحلى الكتاب! من المُفـرح أن الكتب بدأت تتوافد على مكتبة "فوينته". كتبتُ الى دار الطباعة والنشر التابعة الى "السكن الطلابي في مدريد" حيث درست فيها سنوات عديدة، والى دار نشر "أوليسيس" حول إمكانية إرسـال مجاميعهم الكاملة الى هنا، وسأقوم أنا بالطبع بإرسال الاصدارات التي كتبتها وإصدارات أصدقائي.

المكتبـة بحاجة الى كتب من جميع الأصناف والتوجهات: الكتب السـماوية، المتنورة، الصوفية وكتب القديسـين والثوريين والرجال الفاعلـين والمتميزين. وأتمنـى أن تكون فيها "الأنشـودة الروحية" لـ"سـان خوان دي لا كروز" التي تُعد من قمم الشـعر الإسـباني،

وكذلك أعمال "تولستوي" التي توازي في أهميتها كتاب "مدينة الله" لـ "سان أوغسطين"، إضافة الى "زرادشت" لـ "نيتشه" او "رأس المال" لـ "ماركس"، لأن كل هذه الأعمال يا أصدقائي الأعزاء، تتماشى مع نسمة العشق البشرية والسمو بالروح، وبالتالي فهي تتلاقح وتحتضن المثل العليا.

مرحى للقرّاء، للكثير من القرّاء! أنا أعرف أن فرص النبوغ لا تتشابه عند الجميع، مثل الوجوه، فالبعض يمتلك ذكاءً خارقاً والبعض أقل منه درجةً، مثلما توجد وجوه وسيمة ووجوه قبيحة، لكن كل واحد سيستخرج من الكتاب ما يمكنه، وعادة ما يكون نافعاً، فيما سيكون مُنقذاً للبعض. هذه المكتبة يجب أن يكون لها هدف اجتماعي، وأنا على ثقة تامة بأن عدد القرّاء سيزداد مثل زيادة الكتب فيها، وفي غضون سنوات سينهض المستوى الثقافي للقرية. وأرجو أن يستثمر هذا الجيل الذي يسمعني الآن كل ما أمكنهم من تحضيرات وكتب، خدمةً لأبنائكم. **لأن من الضروري أن يعرف الجميع بأننا لا نعمل لأنفسنا بل للقادمين بعدنا، وهذه هي الروح الأخلاقية لكل الثورات، والروح الحقيقة للحياة.**

الآباء يناضلون من أجل أبنائهم وأحفادهم، والأنانية تؤدي الى العقم. والإنسانية اليوم تحاول أن تُجهز على التمايز الطبقي، من خلال التعلم وروح التضحية ونكران الذات في مختلف القطاعات، لتعزيز الثقافة، المُنقذ الوحيد للشعوب.

أنا على يقين بأن "فوينته باكيروز" التي كانت دائماً قرية خيال

حيٍّ وروحٍ شفافة وباسمة مثل المياه التي تجري في ينابيعها، ستخرج بالكثير من هذه المكتبة مما سيحمل في ضميرها كل السعادة والشوق للمعرفة. لقد شرحتُ لكم الجهود التي كلفت الإنسان حتى تمكّن من إنتاج الكتب كي يطالها الجميع. أتمنى أن يخدم هذا الدرس الصغير والمتواضع، كل الذين أحبوا الكتب وبحثوا عنها مثل بحثهم عن صديق، لأن الإنسان يموت، والأشجار تموت، بينما تبقى الكتب حية، خضراء متجددة أبداً تفتحها في أية دقيقة وفي أية ساعة بحثاً عن إجابة لسؤال او تسلية.

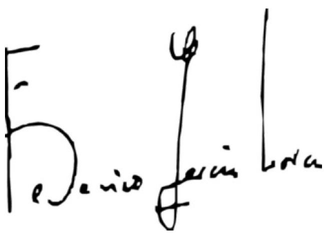
أنتم تعرفون بالطبع أن التقدم الاجتماعي والثورات التي قامت بمساعدة الكتاب، والرجال الذين يوجهونها ويموتون مرات كثيرة مثل "لينين"، كانوا على درجة عالية من التعلم والرغبة في التبحر بالمعرفة. السلاح والدم ليسا بذات قيمة إذا لم تكن الأفكار مُوجّهة بصورة جيدة. ومن المفيد أن أقول إن الشعوب تقرأ لكي تتعلم، لا رغبة في التحرر فحسب، بل في إدراك الاستيعاب المتبادل للحياة.

أتقدم بالشكر للجميع وللقرية وأخص بالشكر الجمعيات الاجتماعية التي كانت ترافقني دائماً بمختلف قطاعاتها، والشكر موصول لرئيس بلديتكم سيد "رافائيل ستنجيث رولدان" الرجل الحقيقي الفاضل والابن البار لهذه القرية الذي حصل على شهرة ومعرفة عصره، بجهوده المتواصلة، بما فيها هذه المكتبة العامة.

تحياتي للجميع أحياءً وأمواتاً، لأنهم جميعاً ساهموا في بناء البلد. أتمنى السعادة للأحياء، ولأرواح الأموات السكينة، لأنهم جزءٌ من

ميراث القرية، ولأننا لولاهم ما كنا هنا. أتمنى لهذه المكتبة أن تنفع في توقد الســـلام والهدوء الروحي والسرور لهذه القرية الثمينة، حيث أتشرف بولادتي فيها، ولا تنسوا المقولة الأبدية التي كتبها ناقد فرنسي في القرن التاسع عشر: "قل لي ماذا تقرأ، أقل لك مَن أنت".

أيلول / سبتمبر 1931



آخر لقاء مع الكاتب الإسباني

فديريكو غارثيا لوركا

نُشر هذا اللقاء مع فديريكو غارثيا لوركا في 10 حزيران/ يونيو عام 1936 في صحيفة "الشمس" المدريدية في قسم "حوارات رسام كاريكاتير متوحش" ولم يكن الرسام المتوحش سوى الصديق المقرب الى لوركا، الرسام والنحات الكتلوني لويس أي بو (1882-1940) وهو آخر لقاء للشاعر قبل ان يُعدم رمياً بالرصاص في 18 آب/ أغسطس في منطقة بيثنار.

– لويس باكاريا أي بو: لقد أضفت نكهة غنائية الى سقوط "جيل روبلز" وشاهدت بومة "أونامونو" والكلب الضال لـ "باروخا"، هل تحب أن تحدثني عن المنحى الذي يتسربل به الحلزون في الرحلة النقية لأعمالك؟

– لوركا: تسألني عن سبب إيثاري للقواقع في رسوماتي. ببساطة، يرتبط الحلزون بذكرى قلبية في حياتي. ذات مرة وبينما كنت أرسم، اقتربت والدتي متأملة اللوحة. قالت لي "بُني، سأموت دون أن أفهم كيف بإمكانك أن تتلذذ بالحياة بصنع القواقع" ومنذ ذلك الحين عمّدت لوحاتي هكذا. هل رويت فضولك؟

– لويس باكاريا أي بو: الشاعر الفطن والعميق غارثيا لوركا، قصائدك الرقيقة والجميلة، تحمل أجنحة من الرصاص المُخفف ثاقبةً أحشاء الأرض، هل تؤمن أيها الشاعر بالفن من أجل الفن او

بالعكس، الفن لابد أن يكون تحت خدمة الشعب للبكاء معه حين يبكي والضحك حين هذا الشعب يضحك؟

- لوركا: جواباً على سؤالك، باكاريا الكبير والحنون، لا يسعني إلا أن أقول بأن مفهوم الفن هذا هو حاجة ستكون قاسية إن لم تكن مُتكلِّفة على نحو محظوظ. إن أي إنسان حقيقي لا يؤمن بترهات الفن النقي هذه، الفن من أجل الفن نفسه. في هذه اللحظات الفاجعة من العالم، لابد للفنان أن يبكي ويضحك مع شعبه. يجب أن يترك غصن السوسنة ويدخل في الوحل حتى خصره لكي يساعد أولئك الذين يبحثون عن السوسنة. أنا شخصياً يتملَّكني شوق حقيقي للتواصل مع الآخرين. وعلى هذا الأساس طرقت أبواب المسرح الذي قررت أن أكرِّس له مشاعري كلها.

- لويس باكاريا أي بو: هل تعتقد أن ولادة القصيدة يتسبب في تقارب مع المستقبل القريب، او إنه على العكس، يعمل على إقصاء أحلام الحياة الأخرى؟

- لوركا: هذا السؤال الغريب العسير عن الهاجس الميتافيزيقي الحاد الذي يملأ الحياة، لا يستوعبه سوى الذين يعرفونك. إن خلق قصيدة سرٌّ لا يمكن حل رموزه، مثل سر ولادة الانسان. تُسمع أصوات خفية، من غير الناجع أن تنشغل بمصدرها. ولأنني غير معنيٍّ بالولادة، فلستُ معنياً بالموت أيضاً. أصغي الى الطبيعة والى الإنسان باندهاش، وأنسخ ما يُرى دون تحذلق، ودون أن أمنح الأشياء مفهوماً لا أعرف إن كانت تعود لها. لا الشاعر ولا أي أحد

يمتلك مفتاح وسر العالم. إن معاناة الانسان والظلم المستمر المتدفق من العالم، وجسدي أنا وتفكيري الخاص، يمنعاني من نقل بيتي الى الشوارع.

- لويس باكاريا أي بو: ألا تعتقد أيها الشاعر بأن السعادة تقبع فقط في الثمالة، ثمالة شفاه المرأة، الخمر، المنظر الجميل وحين تكون جامعاً للحظات الحدة، تبدو كأنها لحظات خلود، رغم أن الخلود غير موجود؟

- لوركا: أنا لا أعرف يا باكاريا، ممَّ تتألف السعادة. إن آمنتُ بالنص الذي قرأته في المعهد، للكاتدرائي فائق الوصف أوتي ولارا، فإن السعادة لا يمكن أن توجد إلّا في السماء، لكن إذا الانسان ابتكر الخلود، أخال أن هناك في العالم أفعالًا وأشياءَ جديرة بها، بجمالها وأهميتها، نماذج مطلقة لنظام خالد. لمَ تسألني عن هذه الأشياء؟ أنت تودُّ أن نلتقي في العالم الآخر ونواصل حديثنا تحت سقف مقهى مدهشة مع الموسيقى والأجنحة وسط الضحكات والجعة العجيبة. باكاريا لا تخف... كن واثقاً بأننا سنلتقي.

- لويس باكاريا أي بو: ستستغرب أيها الشاعر من أسئلة رسام الكاريكاتير المتوحش هذا. أنا، مثلما تعرف، كائن يمتلك الكثير من فرشات الرسم والقليل من الإيمان، متوحش مع مادة موجوعة، يفكِّر بأن متاع العيش هذا كله، أزهر في بيت شعري تمتمت به شفاه آبائي. ألا تعتقد بأن (كالدرون دي لا باركا) كان مُحقاً أكثر حين قال "الخطيئة الكبرى للإنسان هي ولادته"، من تفاؤل (مونيوث سيكا)؟

- لوركا: أسـئلتك لا تثير اسـتغرابي مطلقاً. أنت شاعر حقيقي يُشـار له بالبنان. بكل صدق أجيبك وببساطة، إن لم أنجح او أتمتم، فبسبب الجهل لا غير. إن أقلام التوحش، هي أقلام ملائكة، وخلف الأسـطوانة التي ترنُّ بنغمـة رقصك الجنائزي، ثمـة قيثارة وردية رسـمها الايطاليون الأولون. التفاؤل ينبع من الأرواح التي لها بُعد واحد, والتي لا ترى سيول الدموع التي تحيط بنا.

- لويس باكاريا أي بو: الشـاعر الإنسـان الرقيق لوركا، ما زلنا نتحدث عن الأشياء الأبعد. أكرر الموضوع ذاته، لأن الموضوع يُعيد نفسه. فيما يخص المؤمنين الذين يعتقدون بحياة أخرى، ألا يروق لهم أن يجدوا أنفسـهم في وطن روحي حيث لا شـفاه مكتنِزة للتقبيل؟ أليس من الأفضل التزام الصمت عن الغيب؟

- لـوركا: ألا تعرف يا صديقي الوسـيم المُعذَب أن الكنيسـة تتحدث عن إعادة بعث الجسـد كمكافأة لتابعيها؟ النبي إشعيا قالها في إحدى الآيات العظيمة "البشر المنكوبون سيفرحون عند الرب". رأيت في مقبرة سان مارتين شـاهداً على أحد القبور الفارغة، معلقاً مثل ضرس عجوز على الجدار المهدم، كُتب عليه "هنا تنتظر السـيدة ميكائيلا غومث يوم البعـث". فكرة مطروقة ومن المحتمل أن لدينا رأسًا ويدينِ. المخلوقات لا ترغب أن تكون ظلالًا.

- لويس باكاريا أي بو: هل تعتقد أن استعادة الأراضي الغرناطية، فعل صائب؟

- لـوركا: كان توقيتًا سـيِّئًا جـداً وأن يقولـوا عكس ذلك في

المدارس. ضاعت حضارة رائعة من شـــعر وعلم فلك وعمارة رفيعة المستوى فريدة من نوعها في العالم لتتحول الى مدينة فقيرة وضعيفة، لتتحول الى "أرض الجابيكو"، حيث تمخضت عنها أســـوأ برجوازية إسبانية في الوقت الراهن.

- لويـــس باكاريا أي بو: ألا تظن أن الوطن لا شيء، وأن الحدود آخذة في الاضمحلال؟ لمَ يتوجب على الإسباني السيِّءِ أن يكون أكثر أخوة لنا من الصيني الطيب؟

- لوركا: أنا إسباني حقيقي، ومن المحال أن أعيش خارج حدودي الجغرافية، لكني أمقت من ينادون بإسبانيتهم لمجرد أنهم إسبان. أنا أخ للجميع، وأكره الإنســـان الذي يضحي من أجل مصلحة وطنية معينة، فقط لأنه يحب وطنه بتعصب. الصيني الصالح أقرب إليّ من الإسباني الطالح. أُنشدُ لإسبانيا وأشعر بها حدَّ النخاع، لكن قبل هذا، أنا ابن هذا العالم وأخو الجميع. أنا لا أؤمن بالحدود السياسية بالطبع ، والمراقبون لا يوجِّهون الأســئلة دائماً، رغم اعتقادي بأن المراقبين لهم الحق في ذلك. ما تفســيرك لهذا الشوق وهذا الظمأ الذي يتنامى بداخلك للطرف الآخر؟ ألا تمتلك رغبات حقيقة في البقاء على قيد الحياة؟ ألا تعتقد بأن هذا قد انتهى أمره وأن الانســـان لا يستطيع أن يفعل شيئاً سواء بالإيمان او بدونه؟

- لويس باكاريا أي بو: أتفق معك لسوء الحظ، أتفق. أنا في داخلي إنســـان كافر متعطش للإيمان. من المُوجع حقاً أن تنتهي للأبد. تحية لشـــفاه امرأة، وكأس من النبيذ الطيب الذي يجعلك تنســـى الحقيقة

المأســـاوية: رحلة، نور يُنســـيك الظلام. في النهاية الحتمية لن أبغي سوى الخلود: أن يُدفن جســـدي في جنينة فواكه، وأن تكون روحي سماداً.

– لوركا: لمَ يترهل بلحم ضفدع، كل السياسيين الذين رسمتهم كاريكاتورياً؟

– لويس باكاريا أي بو: لأن أغلبهم يعيش في بركة.

– لـــوركا: من أي مرج يقطف رومانون زهـــور الأقحوان التي تعلو أنفه الكبير؟

– لويس باكاريا أي بو: أنتَ تلمِّح يا عزيزي الشـــاعر الى الأشياء التي تلامـــس جوف روحي. تكبُّرُ رومانون، تكبُّرٌ ســـامٍ. أما غرور ثيرانـــو، فلا شيء يُذكـــر مقارنة مع غطرســـة حبيبـــاتي. أقحواناتي اضمحلـــت حين رصفوها في محطـــة منعزلة، طريـــق فونتانبليو. ما كانوا سيســـألونك مطلقاً ما هي زهرتك المُفضلة. ولأني درست لغة الورود، أســـألك، ما الزهرة التي تفضلها؟ وهـــل وضعتها يوماً في صدر سترتك؟

– لوركا: صديقي الغالي، هل تفكر في إلقاء محاضرات مثل غارثيا سانشيث، لتسأل عن هذه الأشياء؟

– لويس باكاريـــا أي بو: رباه! لا أتطلـــع الى العزف على الكمان بصورة سيئة.

– لوركا: وما ردك عزيزي باكاريا على الشـــعور الإنســـاني الذي

تُسبغه الحيوانات التي ترسمها؟

- لويس باكاريا أي بو: عزيزي لوركا، استناداً الى الأعراف الكاثوليكية، فإن الطيور لا روح لها، عدا بعض الحيوانات مثل كلب سان روكيه، خنزير سان انطون، ديك سان بدرو وحمام النجارة الإلهية. عزيزي لوركا، سأسألك عن شيئين لهما كبير الأثر في إسبانيا على ما أعتقد: الأغنية الغجرية ومصارعة الثيران. أمّا الأغنية الغجرية، فالثلمة الوحيدة التي وجدتها فيها، هي ذكرهم للأم فقط في قصائدهم. وهذا يبدو لي ظلماً. وأخال أنَّ هذه الأغاني لها وقع كبير على أرضنا.

- لوركا: قليل من الناس يعرفون الأغنية الغجرية، لأن ما يظهر على الخشبات غالبا ما يُدعى الفلامنكو، والذي يُعد انتكاسة لها. لا ريب أن ما يُقال في هذا الحوار هو لا شيء، لأنه سيكون واسعاً مع قليل من المهنية الصحفية. لديك كلُّ الحق فيما يخص قولك بأنهم لا يذكرون سوى أمهاتهم، لأنهم يعيشون نظام الأمومة، أما الآباء فليسوا كذلك، إذ يعيشون كأبناء لأمهاتهم. على أية حال، ثمة في القصائد الغجرية الشعبية، قصائد تُعنى بالمشاعر الأبوية، لكنها قليلة. أما الموضوع المهم الآخر، فمن المحتمل أن يكون الثروة الشاعرية والحيوية على نطاق إسبانيا، والذي يستثمره الكتّاب والفنانون على نطاق واسع، بسبب التعليم التربوي الزائف الذي تربينا عليه، وإننا كرجال عصرنا كنا أول المعارضين. أعتقد أن مصارعة الثيران هو الاحتفال الأكثر ثقافة في كل العالم اليوم. إنه الدراما الحقيقية التي يذرف فيها الإسباني أفضل دموعه. إنه المكان الوحيد الذي ترى فيه

الموت بثقة مُحاطاً بجمال باهر. ما كان سيحدث للإنسان الإسباني البدائي، الذي خرجنا من أصلابه وتكلمنا لغته، لو كان قد ترك صدى الأبواق الدرامية للمباراة؟ أنا معجب جداً ببلمونته لخلقه وذائقته الشعرية.

– لويس باكاريا أي بو: مَن من شعراء إسبانيا الحاليين يعجبك أكثر؟

– لوركا: هناك معلـمَان: أنطونيو ماشادو وخوان رامون خيمينيث. بناءً على مقومات الاتقان الشعري، يعُد الأول شاعرًا إنسانيًّا وسماويًّا يتفادى أي صدام، وسيداً لعالمه الداخلي. أما الثاني، فمشوشاً بالمجد الذي يحيطه، تعيساً بالواقع الذي يعيشه، ملسوعاً بالأشياء التي لا معنى لها، العدو الحقيقي لروحه الشعرية المجيدة. وداعاً باكاريا. حين تعود الى كوخك، محملاً بالزهور، بالوحوش وبالسيول، فامنحها لرفاقك المتوحشين الذين لا يؤمنون برحلات الذهاب والإياب الى مدننا، الى الوحوش التي رسمتها بحنان فرنسيسكاني، والذين لا يمتلكون لحظات جنون فيتصرفون مثل حيوانات مدجنة، والى الزهور التي لا تتباهى بجمالها كثيراً لأنهم يتمنون أن تعيش فوق البطون المتعفنة للموتى.

– لويس باكاريا أي بو: معك حق أيها الشاعر. أعود الى غابتي، وأزأر في وجه الأصدقاء بكل ما أوتيت من قوة، بكلمات جميلة قد تُعد في بعض الأحيان تجديفاً خفيًّا.

"قراءة وامتلاك كتاب"

للكاتب الألماني: هيرمان هيسّه

يســـود الاعتقاد بيننا، اعتبار كلِّ ورقـــةٍ مطبوعةٍ، هي ذات قيمة، وأن كل ما مطبوع هو ثمرة لجهد فكري يستحق التقدير.

بين الحين والآخر، قد يجد المرء بجانب البحر او في الجبال، شخصاً ما معزولاً، لم ينل مدُّ الورق حياته بعد، ربما بحوزته تقويم او كرّاس او حتى صحيفة ثمينة وجديرة بالحفاظ عليها. اعتدنا أن نتســـلم في بيوتنا مجاناً كميات كبيرة من الورق، وأن الصيني الذي يفكر بأن كل ورقة مكتوبة او مطبوعة هي شيء مقدس، يجعلنا نبتسم.

مع ذلك مـــا يزال احترام الكتاب قائماً، عـــلى الرغم من انه صار مُؤخراً يُوزع مجاناً لتصفية البضاعة. أما بالنسبة الى الآخرين، وأخص منهم بالذكر الشعب الألماني، فقد ازدادت حمية اقتناء الكتب.

مؤكدٌ أنـــه لم يُعرف بعد ما يعنيـــه حقيقة، اقتنـــاء كتاب. الكثير يرفضـــون صرف 10 % من المبالغ المخصصة للبـــيرة او للتفاهات الأخرى، على كتاب. أمـــا الآخرون من الطـــراز القديم، فالكتاب بالنسبة إليهم شيء مقدس مركون في صالة الجلوس على شرشف من المخمل الناعم، يعلوه الغبار.

إجمالاً، إن كل قارئ حقيقي هو صديق الكتاب، لأن الذي يعرف كيف يحتفي ويعشـــق الكتاب بكل جوارحه، يشتهي أن يكون له ما

أمكنه ذلك، ويرغب قراءته ثانية وامتلاكه والشعور بأنه بالقرب منه دائماً. إن اســتعارة كتاب، قراءته وإعادته، هو أمر بسيط. بشكل عام إن ما يُقرأ بهذه الطريقة، يمكن أن يُنســى سريعاً مثل سرعة اختفاء الكتاب من البيت. هناك قرّاء وخاصة النســاء المُتفرغات، قادرون على التهام كتاب كل يوم. بالنســبة لهؤلاء، فإن المكتبة العامة هي في النهاية ينبوع مناسب، لأنهم في كل الحالات لا يريدون تجميع كنوز، او إقامة صداقــات وإثراء حياتهم، إنما ترضيةً لطموح ما. بالنســبة للقــارئ الجيد، إن قراءة كتاب يعني الطريق لمعرفة كيف يكون كائناً نافعاً وكيف يفكر تفكيراً إيجابياً ومحاولة استيعاب شخصيته والتعايش معها ســلمياً. عندما نقرأ للشــعراء، لا يعني أننا بصدد معرفة عالم صغير من الأشخاص والأفعال، إنما نحاول أن نسبر أغوار الكاتب، طريقته في الحياة ورؤية الأشياء، خُلُقه ومظهره الداخلي، وأخيراً خطه وموارده الفنية وإيقاع تفكيره ولغته. إن الذي يبقى مشدوداً يوماً ما لكتاب، فلأنه بدأ بمعرفة المؤلف وارتبط مع إصداراته بعلاقة. هذا القارئ يشرع عادةً بالتأثر بالكتاب على نحو عاقل. ولهذا لن ينفصل عنه ولن ينساه، بل ســيحافظ عليه، أي سيشتريه ليقرأه ويعيش بين صفحاته عندما يرغب به. إن الذي يشــتري هكذا ويقتني فقط تلك الكتب التي تصل الى قلبه من خلال نغمتها وروحها، سيترك عاجلاً التهام القراءة العمياء وستلتف حوله مع الوقت مجموعة من الأعمال الحبيبة والقيّمة التي سيجد فيها سعادة وحكمة، وستكون أكثر ثراءً من مجرد القراءة العشوائية العرضية لكل ما يقع بين يديه.

لا وجود لألــف أو مائة "أفضل كتاب". لكل فرد ثمة سلســلة

خاصــة قريبة على فهمــه وإدراكه بقيمتها وقربهــا لروحه. ولهذا لا يمكن التوصيــة بمكتبة ما، لأن كل واحد عليــه أن يتبع ضروراته وعشــقه واقتناء مجموعة من الكتب ببطء مثلما يختار أصدقاءه. إذن إن مجموعة صغيرة يمكن أن تعني عالماً بأكمله بالنسبة له. إن أفضل القرّاء هــم الذين يقتصرون باحتياجاتهم دائماً على قليل من الكتب. وهنــاك الكثير من القرويــات اللواتي لا يعرفن ســوى "الانجيل" مصدر الحكمة والســلام الداخلي والفرح، فيما يزهدن في انتزاع أي شيء ثمين من مكتبتهن العامرة.

للكتب تأثير غريــب. جميع الآباء المثقفين حاولــوا تجربة إعطاء طفلهم او ابنهم البالغ كتاباً ممتازاً مُنتقى في لحظة مناســبة، وأدركوا فيما بعد بأنهم كانوا على خطأ. كل إنســان، شــاب او شيخ، لابد أن يجد طريقــه الخاص نحو عــالم الكتب، رغــم أن نصيحة وتوصية الأصدقاء اللطيفة، قد تســاعده كثيراً. البعض يشعر بالرغبة المُبكرة في الانجذاب نحو الكتاب، فيما يحتاج البعض الآخر سنوات عديدة للتلــذذ بحلاوة ومتعة القــراءة. من الممكن البــدء بـ"هوميروس" والانتهاء بـ "ديستوفســكي" او بالعكس، ويمكن أيضاً ســبر غور عالم الشــعراء والمضي بعدها نحو الفلســفة او بالعكس، فهناك مائة طريقــة. لكن هناك قانون واحد وســبيل واحد للإفــلاح والتنمية الفكرية للكتب، هو احترام ما يُقرأ والصبر من أجل حب الإدراك، والخشوع للصبر والاستماع. الانســان الذي يقرأ من أجل التسلية، سيقرأ وينســى وســيكون بعدها أكثر فقراً. لكن الذي يقرأ الكتب التي تثريه، مثل إصغائه الى الأصدقاء، ســتكون ملكاً له. إن القارئ

الحقيقي لن يزلَّ ولن يضيع، بل سوف يبقى معه، ينتسب اليه ويتسلى به، مثلما يفعل الاصدقاء المخلصون.

مقتطفات من كتاب هيرمن هيسَّه
"كتابات حول الأدب".

"مقدمة سمفونية"

للكاتب الإسباني: غوستافو أدولفو بيكر

"حلم العقل ينتج وحوشــاً" نقش رقم 43 مــن "الطموحات" للكاتب فرانسيسكو غويا.

في الزوايا المُظلمة لعقلي، يغفو عراةً أبناء مخيلتي غريبو الأطوار، في انتظار الفن الذي يُلبسهم بصمت، كلمات تُمكنهم من تقديم أنفسهم على مسرح العالم على نحو لائق.

خصبــةً مثل سرير الحب البائس، شــبيهةً بأولئــك الآباء الذين ينجبون المزيد مــن الأبناء ليعتاشــوا عليهم، ملهمتي آلهة الشــعر والفنون الجميلة تلد وتتوقف عند المعبد الغامض للرأس معمِّرة إياه بخلائق دون عدد، لن يكفي نشــاطي ولا كل السنوات المتبقية من حياتي، أن تمنحها هيأة.

وهنا في الداخل، عراة ومشــوهون، متقلبون ومختلطون في ضياع لا يمكن وصفه، أشــعر بهم أحياناً يتموجون ويعيشون حياة مظلمة وغريبة، شبيهة لحياة تلك الأعداد الهائلة للجراثيم التي تغلي وتنتفض في حضانة أبدية في جوف الأرض دون أن تجد قوة كافية للخروج الى السطح وتتحول الى ورود وفواكه.

معــي يذهبون حتى الموت دون أن يتبقى منهم أي أثر ســوى ما يتركــه حلم منتصف الليلــة الذي لا يُتذكر مــع الصباح. في بعض

المناســبات، وقبل هــذه الفكرة المُرعبــة، تُثير فتنتهــم غريزة الحياة فيتدحرجون بأعداد هائلة بصخب هادئ بحثاً في الناس عمّا يُخرجهم من الظلمات التي يعيشونها، الى النور. لكن، آه! بين عالم الفكرة وعالم الشكل، هوة لا تُنقذها سوى الكلمة، والكلمة الخجولة الكسلى التي ترفض أن تُعين هذه الجهود. وبعد معركة خاسرة يسـقطون ثانية في خمودهــم القديم، بُكْــمًا، مكفهرِّين وعجزة. يا للســقوط الجامد في أخاديد المســارات، إذا توقفت الريح وارتفعت الأوراق الصفراء في دوامة كبيرة!

إن فتــن الأبناء المتمردين المُتخيلين يفسر بعضــاً من الحُمّى التي تصيبني: إنهم السبب المجهول بالنسبة للعلم، سبب مَجدي ونكوصي. وهكذا أراني أعيش هنا، رغم ما أعنيه من سوء، تتجول في رأسي هذه العاصفة الصامتة عبر حشــود غير مكترثة. هكذا أراني أعيش، لكل شيء نهاية، ولابد أن أضع لها النقاط على الحروف.

ويســتمر الأرق والخيال، ومعهما يســتمر التناســل من زيجات متوحشــة. تكافح نتاجاتهم المضغوطة مثل نباتات ضعيفة في بركة، لإطالــة أمد وجودها المُدهش من خلال منازعة ذرات الذاكرة، مثل عصير شــحيح لأرض قاحلــة. من الضروري فتح قنــوات للمياه العميقة التي تــزداد يومياً من الينابيع الحية، وإلّا ســتنتهي بتحطيم السد.

هيا إذن! هيا عيشــوا الحياة الوحيدة التي أقدمها لكم. عبقريتي ســتُغذيكم بما فيه الكفاية لتصبحوا ملموســين، وسوف أكسوكم

بما فيـــه الكفاية، حتى لو كانت خرقاً، لكـــي لا تخجلوا من عريكم. أشتهي أن أصوغ لكلٍّ منكم مقطعًا شعريًّا رائعًا مُعبَّأً بعبارات ذواقة، يمكنني أن أجعلك فيها تشعر بالفخر مثل عباءة من الأرجوان. أتمنى لو أستطيع أن أنحت الشكل الذي يجب أن تكونوا عليه، مثلما يُنحت كأس من الذهب لتضم عطراً فريداً. لكن هذا مستحيل.

مع ذلك، أشعر بالحاجة الى الراحة. وبالطريقة نفسها التي ينزف فيها الجســـد من أوردته المُترعة دماً فاســـداً، أحتاج أن أخفف هموم دماغي المُثقل بالكثير من الأشياء المستحيلة.

أبقوا إذن مُوْدَعين هنا مثل طائرة غائمة تؤكد مرور مذنب مجهول، مثل الذرات المُتناثرة لعالم جنين نفث الهواء قبل أن يتمكن خالقه من لفظ الموافقة على انتشاله من الظلال الى الشمس.

لا أريـــد أن تمضوا مـــن جديد، في لياليّ التي تخلـــو من الأحلام، أمام عيوني في موكب غريب تلتمســـون مني بإيماءات وإشارات أن أُخرجكم الى الحياة الحقيقية، من الحاشية التي تعيشون بها مثل أشباح غير مُتماســـكة. لا أريد أن تضيعوا كما هذه القيثارة البالية الهرمة حين تتكـــسر ومعها تنتهي نوتاتها النكرة. أشـــتهي أن أذوب قليلاً بالعالم الذي يُحيط بي، لكي أتمكن من الابتعاد، حين أكون فاضياً، عن أعين العالم الآخر الذي يمتلئ به رأسي. العقل الراشـــد، الذي هو حاجز الأحـــلام، يبدأ في الانهيـــار وتمتزج الناس من مختلـــف الشرائح مع بعضها ليُضلوا. يُرهقني أن أعرف أية أشـــياء حلمت بها، وأيٌّ منها حدث. وتتوزع عواطفي بين أشباح الخيال والشخصيات الحقيقية.

تصنف ذاكرتي المُتقلبة أسماء وتواريخ نساء وأيامًا ماتت او مرَّت، وأيامًا ونساءً لم يكن لهم وجود في عقلي. ومن المناسب أن أرميهم من رأسي مرة واحدة والى الأبد.

إذا كان النوم موتاً، فأشتهي أن أغفو بسلام في ليلة الموت، دون أن تصبحوا كابوسي، وتلعنونني، لأني حكمتُ عليكم بالعدم قبل الولادة. اذهبوا إذن الى العالم الذي منه تناسلتم وأبقوا فيه مثل الصدى الذي عثرتم فيه، بروح مرت على الأرض، على أفراحكم ومعاناتكم، آمالكم ونضالكم.

ربما قريبًا جداً سيتوجب عليّ أن أحزم حقيبتي لأرحل. بين ساعة وأخرى، يمكن أن تتحلَّل روح المادة لترتفع الى النواحي الأنقى. لا أريد، حين يحدث هذا، أن أحمل معي، مثل متاع غير متجانس لدجال، كنز الصفائح والأسمال التي جمعت الخيال في سلة مهملات الدماغ.

حزيران 1868

جان كوكتو "أناس يمتلكون كل شيء..."

مقتطفات من "توماس الدجال"

ثمـــة أناس يمتلكون كل شيء، ولا يصدقـــون ذلك، أثرياء، قمة في الفقـــر، نبلاء مبتذلون، لدرجة أن الريبـــة التي تحدق بهم تجعلهم خجولين ترتسم على محياهم إمارات الشك.

بعض النســـاء تبدو لهن أجمل الجواهر، زائفة. لكن اللآلئ الزائفة تبدو عند البعض الآخر، حقيقية. مثلهن، ثمة رجال يشـــعرون بثقة عمياء ويتمتعون بامتيازات لـــن يتمكنوا من تزعمها. كان "كيليرمو توماس" ينتسب الى هذا العرق من الحظ. كان يتملكه. لم يكن بحاجة الى اتخاذ أي نوع من الاحتراس ولا أي حســـاب. نجمة كاذبة تأخذه الى هدفه بصورة مســـتقيمة. لهذا لم تكن ملامحـــه تنمُّ عن قلق، ضيق ولا تقطيب جبين. لم يكن يعرف الســـباحة ولا التزحلق، لكنه كان يقول "أنا أتزحلق وأسبح" ورآه الجميع فوق الجليد وعلى الماء. جنية خاصـــة تمنح هذا الحظ منذ الولادة. هناك مَن يحقق الانتصار، يحالفه هذا الحظ من المهد.

لم يخض "كيليرمو" اختباراً لنفســـه ويفكر: "كيف ســـأخرج من هذا؟" او "إني أخدع" او "مســـكين أنا" او "أنا رجل هشٌّ". كان يسير مُتوحداً من أكذوبته. كلما كان يتقمَّـــص دوره، كلما يتوحد به أكثر، ويجلب له هذه الحرائق وهذه الثقة التي يقتنع بها.

"بورخس وانا"

للكاتب الأرجنتيني: خورخيه لويس بورخيس

"لستُ متأكداً من أنني موجود فعلاً. أنا جميع المؤلفين الذين قرأتُ لهم، كل الناس الذين عرفتهم، وكل النساء اللواتي أحببتهن. كل المدن التي زرتها، كل أسلافي..."

الى الآخر، الى بورخس الذي حدثت له كل الأشياء. أتجول في "بوينس آيرس" وأتَّبع اتجاهاً ربما على نحو آلي، لكي ألحق بنظري قوس الدهليز والباب المُلغاة. في صندوق البريد لديّ أخبار عن بورخس، فأرى اسمه في قائمة الأساتذة او في قاموس السير الذاتية.

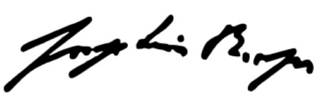
تروق لي الساعات الرملية، الخرائط، مطابع القرن السابع عشر، علم اشتقاق الألفاظ، طعم القهوة، والكتابات النثرية لستيفنسون. الآخر يشاركني هذه التفضيلات، لكن بطريقة مغرورة تجعله يوظفها لتظهر وكأنها من سمات الممثل. سيكون من المُبالغ فيه أن أكدتُ أن علاقتنا عدائية. أنا أعيش، وأنا أسمح لنفسي أن أحيا لكي يتمكن بورخس من حياكة أدبه، وهذا الأدب يبرِّئني.

لا أجد صعوبة في الاعتراف بأن ثمة صفحاتٍ قد نالت نجاحاً، لكنها لم تستطع أن تنقذني، ربما لأن الطيبة لا تنتسب لأحد، ولا حتى للآخر، بل للغة وللتقاليد. وعليه، أنا عُينت لأفقد نفسي نهائياً، وليس هناك سوى لحظة مني تُبقيني على قيد الحياة في الآخر. وشيئاً

فشـــيئاً، يبدأ الخيط بيننا بالانقطاع رغم أنه يُثبت لي عادته المُغايرة في التزييف والتبجيل.

أدركَ ســبينوزا بــأن كل الاشــياء تريد أن تظل عــلى حالتها في كينونتِها، الحجر يريد أن يظل حجراً الى الأبد، والنمر نمراً. وأنا يجب أن أظــل في بورخس وليس فيّ (إن كنتُ أنا أحداً)، لكني أجد نفسي في كتبه أقل مما في كتب الآخرين او العزف المُتعب على أوتار القيثارة في آن واحد.

حاولت منذ ســنوات أن أحرر نفسي منه، ومضيتُ من أساطير الأقدمــين الى اللعب مع الزمن ومع المطلق، بيــد أن تلك الألعاب تعود الى بورخس الآن وعليّ أن أخترع أشــياء أخرى. هكذا حياتي عبارة عن هرب وكل شيء في غياهب الهرب او من النســيان، او من الآخر. ولا أعرف أيًّا من الاثنين يكتب هذه الصفحة.



القصيدة الأخيرة للشاعر البريطاني تيد هيوز الى سيلفيا بلاث

في 8 شـــباط من عام 1963 كتبت سيلفيا بلاث رسالة الى زوجها تيد هيوز، حين شرعت في إجراءات الانفصال بينهما.

أُعتقد في البداية انها كانت رســالة انتحار وصلــت قبل أوانها، ولكن ما كانت تتضمنه الرسالة لا علاقة له بالانتحار. في عام 2010 وبعد وفاته، ظهرت قصيدة لهيوز عنوانها "رسالة أخيرة" والتي تُذكِّر بالأيام التي سبقت انتحار زوجته سيلفيا بلاث (1932-1963).

تعرفا الى بعضهــما في حفل أُقيم في جامعة كامبردج في منتصف الخمســينات، وتزوجا بعد اربعة اشــهر. وبعد عدة سنوات من علاقة مُعذبة، ترك تيد هيوز زوجتــه واثنين من صغارهما ليعيش مع امرأة متزوجةهي الشــاعرة آســيا ويفل. وحيدة وســط شتاء قاسٍ وبوسائل اقتصادية شــحيحة، استيقظت سيلفيا بلاث التي كانت عرضة للاكتئاب، في الرابعة صباحاً لتخط قصائدها قبل ان يستيقظ اطفالها.

وذات يوم خسرت الشــاعرة التي حاولت الانتحار في مناسبات اخرى، المعركة مع شــياطينها. وفي 11 شباط 1963، بعد ان جهزت وجبــة الإفطار لطفليهــا، فريدا ونيكولاس، فتحــت صنبور الغاز ووضعت رأسها في الفرن.

وهكذا بدأت اسطورة لم يكن من السهل ابداً ادراك الدور الذي لعبه هيوز فيها. ولما كانا ما يزالان متزوجين رسمياً اثناء وفاة زوجته، فقد تسلم هيوز مخطوطاتها. وحدث شيئان. كانت المخطوطات التي تركتها بلاث بعد انتحارها ذات قيمـــة اعلى بكثير من مؤلفاتها التي نشرتها في حياتها. ويُعد ديوانها الشـــعري (آريل) من افضل دواوين النصف الثاني من القرن العشرين. قام هيـــوز بتحريره بدقة مُتناهية مع بعض القصائد التي تعود لبلاث، لكنه قام بعمل لا يُغتفر: تدمير جزء مهم مـــن مذكرات زوجته. وبصدد الدفاع عن نفســـه، اقتصر هيوز على القول بان قراءته كانت ســـتُلحق ضرراً لا يمكن اصلاحه بأبنائه.

وفي السنوات اللاحقة، بدأ هيوز يجمّع عملاً ادبياً له على مستوى عالٍ، في نفس الوقـــت الذي كان ما يزال يواصـــل تحريره لكتابات زوجته بطريقـــة مثالية، لكنه لم يتمكن مطلقاً مـــن التحرر من العار الذي لحقه من انتحار زوجته بســـببه. وكثيراً ما كانت تقطع قراءاته ومحاضراتـــه صرخة القاتل. من قبر زوجته، الذي ظهر عليه مطبوعاً اسم سيلفيا بلاث هيوز.

كانت تخرج ايادٍ مجهولـــة وبصورة نظامية، منتزعة اســـم عائلته الذي كان يعمل على اعادتـــه ثانية. في عام 1981 نشر هيوز "قصائد مُجمّعة لســـيلفيا بلاث" بعد إن حررها بنفســـه كالعادة وبعناية تامة. وقد حصـــل الديوان على جائزة "بولتزار" بعد وفاته. وفي عام 1988 وبعد إن شعر هيوز انه على وشك الموت بسبب مرض السرطان نشر

"رسائل الميلاد"، وهي عبارة عن يوميات شعرية مُوجهة الى زوجته، عمل عليها بصورة متواصلة منذ اليوم الذي انتحرت فيه سـيلفيا. وقـد عُدّ من افضل اعماله، وبيعت نصف مليون نسـخة منه، وهذا شيء غير مألوف بالنسـبة لديوان شعر، بالرغم من أنها لم تمحِ وصمة العار التي التصقت به. وفوق كل هذا، قامت المرأة التي هجر سيلفيا بلاث لأجلها، بخنق نفسـها بالغاز بعد ان تسببت في قتل ابنتها من هيوز، مما زاد من تشويه صورته.

مع ذلك فقد تزوج الشاعر من جديد.

تسـلمت ارملتـه كارول وبطريقة ايجابية لقيـة القصيدة. ومعه فُسـح المجال لمطرقة الخرافة. وبينما كان اللورد ميلفيان براغ يبحث في المكتبة الوطنية البريطانية، عثـر بين مخطوطات هيوز على قصيدة اسمها "رسالة أخيرة". القصيدة عبارة عن شهادة مأساوية لهواجس هيوز لإصلاح ما حدث في ليلة انتحار سيلفيا بلاث. مات ولم ينلها، لذلك لم تُدرج ضمن ديوان "رسـائل الميلاد". وتسـبب العثور على اللقية قلقاً في انكلترا.

أحد الممثلين المحترفين قرأ القصيدة التي كانت قد نُشرت في "نيو ستيتمان" خلال البث الاخباري للقناة التلفزيونية الرابعة. وحسب ما ادلى به مكتشفها، فهي افضل قصائد هيوز، بالرغم من أن من العسير الافتراض بأن هذه ستكون خاتمة المأساة التي لاحقت الشاعر حتى بعد موته.

في شهر آذار من عام 2009 انتحر ايضاً نيكولاس ابنه من سيلفيا.

قصيدة "رسالة أخيرة"

ما الذي حدث في تلك الليلة؟
ليلتك الأخيرة تلك التي
برقت فيها السماء مرتين او ثلاثاً.
في وقت متأخر من مساء الجمعة
رأيتكِ للمرة الأخيرة على قيد الحياة
مُحترقةً في منفضة السجائر ببسمة غريبة
وتلك كانت آخر رسالة لي.
هل أنا مَن اتلف خططكِ؟
أم انكِ باغتيني قبل ان اتوقع حدوثه؟
وبعد ساعة رحلتِ
لمكان عصيٌّ على العثور.
وأنا، مع رسالتك في يدي،
شعاع لم يستطع ان يطال الأرض
مبتعداً عن بابكِ الحمراء المُغلقة التي
لن يفتحها بعدكِ احد.
هذا ما حدث لي

كان يمكن ان تكون علاجاً لصدمة

لو تكررت مرة ثانية وأخرى، كل نهاية اسبوع

بقراءتها او ببساطة، التفكير بها

ولكانت قد نظّمت افكاري وحياتي.

كان العلاج الذي له تخططين

يحتاج الى وقت،

ولم استطع ان اتصورني

كيف تمكنتُ من تحمل نهاية الاسبوع هذه.

غير قادر انا على تخيله،

هل كان كل شيء مُخططاً؟

وصلتني رسالتكِ مبكرة جداً

في مساءً يوم الجمعة

وكنتِ قد بعثتِ بها منذ الصباح.

مبكراً اوصلها لي الشياطين الذين

يتغلبون دائماً.

وكان هذا اكثر من سوء حظ،

اشترك في جريمته مكتب البريد

نكاية بك

فأسقطه على كاهلك.

وخرجتُ مُسرعاً من بين غيمة

مائلة للزرقة في شهر شباط

وكانت لندن تغرق في الظلام

بكيتُ ساكناً

حين فتحتِ الباب.

الف لغز ولغز

عصيّ على الحل،

تسبقني الدموع التي

لم استطع ترجمتها

وفشلتْ في الاعلان عن

اهميتها الحقيقية.

لكن ما بحتِ به

عن الرماد الذي ما فتيء عامراً

في هذه الرسالة المُحطمة

بعناية شديدة

وهدوء كبير،

جعلني اتركك وارحل

لترفعي الرماد من على خطتكِ،

من المنفضة التي اتكأت عليها

حتى اتمكن من قراءة

رقم هاتف الطبيب.

واستحال هروبي الى تعويذة

مُحبطاً بلا نوم،

مع كل احلامكِ المُستنفذة

ولم تكن لي امنية سوى التقاطها ثانية

لم اكن اريد سوى ان اسقط

على موضع ما خارج هذا الفراغ.

مُقعد يومين، انا

يومين مجاناً

يومين دون تقويم، مسروقتان

من عالم لا اسم له

بعيد جداً عما يحمله الحاضر

من احاسيس واسماء.

أقبض على حب حياتي،

الحب الباهت لحياتي

بإبرتين مجنونتين

يخيطان زهرتهما

يخترقان ويربطان

على بساط وشمها الدامي.

في مكان ما، بداخلي

ابرتين مجنونتين

معقودتين بمشبك مزهواً بنفسه

خاطتا غرزاتهما

من اعصابي،

واختارتا الوانهما

عميقاً من جلدي

تُصلحان احداهما الأخرى

مثل صورة هزلية.

هوس دخولهما والخروج،

امرأتان تحمل كل منهما ابرة.

في تلك الليلة،

يا سوزانتي من دي لا روبيا،

احمل نفسي بحذر

مثل شعلة في فتيل.

كان غضبي محاولة مهجورة

ليطير المنطاد القديم

الذي فوقه ضاعفت الظلال

من أثري الواشي للرماد.

ومن جهة الى أخرى ركضت

ناظراً الى الخلف

الى الفيلم بالمقلوب.

الى اين ركضت؟

ذهبنا الى شارع روغبي

حيث انتِ وانا بدأنا.

لمَ ذهبنا الى هناك؟

ومن بين كل الأماكن التي

نستطيع ان نصلها، لمَ ذهبنا الى هناك؟

الفساد في فن مصيرنا

وجّه كل عنايته لكِ، لي

لسوزان.

انسان مُتفرد كان يلعب

لكي يصبح قائد تلك المتاهة التي

كانت تضم في ثناياها، هيلينا.

كنتِ قد اطلتِ النظر فيها:

فتاة تصلح لقصة،

لم تعرفيها مطلقاً.

عرفها القليل

عبر الآذان

والقناع الجائع

لكلبها الالزاسي.

وانتِ لم تلمحيها حتى،

وحيدة كنتِ تلملمين نفسكِ

حين كان الحيوان المجنون

يصطدم بالباب

بينما كنا نجتاز الدهليز

ونسمعها تغرق

في حقد الماني ابدي.

ذاك السبت من تلك الليلة

فتح بالكاد

باباً مُوارباً،

فكانت سوزان ذات العينين السوداوين

بالحزن المُفرط

والوجه الحبيب الذي كان يُرى

في الطرف الآخر من السلسلة.

وأُغلقت الباب،

وسمعناها تسلّي السجان

في زنزانتها،

في وكره

ذاك الذي بالكاد بعد ايام

خنقته بالغاز

وخنقت نفسها معه.

ونقضي، سوزان وانا، تلك الليلة

في فراش ليلتنا الأولى.

ولم اعد اراه

منذ ان قبرنا فيه ليلة الزفاف،

ولم احملها الى فراشي الخاص.

وحدث في نهاية الاسبوع

ان تمكنتِ من الظهور

في زيارة مُباغتة.

هل ظهرتِ لتطرقين نافذتي المُظلمة؟

لهذا، بقيتُ مع سوزان مُختبئين عنكِ

في سريرنا الزوجي

نفسه الذي بعد سنوات ثلاث

سيحملونها منه الى الموت،

في المشفى ذاته الذي

سأجدك فيه ميتة

بعد اثنتا عشر ساعة.

وفي يوم الاثنين صباحاً

اخذتها الى العمل

الى المدينة

حيث ركنتُ العربة

في شمال طريق اوستن

وعدتُ الى حيث كان

ينتظرني هاتفي.

ما حدث تلك الليلة

في ساعة عملك

لا احد يعرفه، وكأن شيئاً لم يحدث.

ان تراكم حياتكِ كلها،

كما في جهد غير واعٍ

كما في الولادة العسيرة

حين تجتاز الغشاء من لحظة

الى اخرى

وكأن شيئاً لن يحدث

وكأن شيئاً لم يكن.

كم مرة تعالى رنين الهاتف

في الغرفة الخاوية

ومعك سمعنا نغمته

وعلى الجانبين ذكرى تتلاشى

لهاتف يرن

في عقل كان ميتاً.

ما اكثر ذهابي الى الكابينة

في نهاية طريق القديس جورج

حيث اعتدتِ ان تكوني هناك،

اتطلع بالكاد الى مخرج درب فيتزوري
مخترقاً روابي السكر القذر.
وبمعطفك الاسود الطويل
والضفيرة المُتدلية على ظهركِ
وخطواتك التي لا تتحرك ولا تستيقظ
ولا يشبهها احداً
تسيرين قرب اعمدة بريمروز هيل
نحو كابينة الهاتف التي لن تصليها مطلقاً،
قبل ان يهبط منتصف الليل
وبعده
مرة ثانية وأخرى
وثالثة قريب من الفجر.
في اي موضع من عقارب ساعتي
كانت محاولتك الأخيرة
الأبعد من قدرتي على سماعها
وارتجاف مخدة الفراش الفارغ؟
وللمرة الأخيرة تقشرت بالكاد
كتبي واوراقي؟

وكان الهاتف نائماً حين وصلتُ
وكانت المخدة البريئة تنام في غرفتي
مُترعة بنور الصباح الثلجي.
اشعلتُ النار واخرجت الاوراق،
وبالكاد بدأتُ اكتب
حين استيقظ الهاتف
مثل منبه
واعاد الذكريات جميعها،
تاركاً الحياة بين يديّ من جديد.
ثم، مثل سلاح مُنتقى بعناية
أو مثل حقنة،
أُودعت ببرود، كلماتها
في اعمق اسماعي
"ماتت زوجتك".

"ممنوع الانتحار في الربيع"

للكاتب الإسباني: اليخاندرو كاسونا

"الربيع" والمعروفة أيضاً باسم "رمز الربيع" هي واحدة من اللوحات الممزوجة بالبيض والمرسومة على لوح بقياس (203 × 314) من الفنان ساندرو بوتيشيلي في عام 1478 أو بين عامي 1480 و 1481. أصبحت ضمـــن أملاك عائلة "مديســيس" وعُرضت في متحــف "أوفيزي" في فلورنسا منذ عام 1815.

ممنوع الانتحار في الربيع

المــكان: منزل المُنتحر، في مصــح أرواح الدكتــور أرييل. قاعة الانتظار كأنها تعود لفندق جبلي، تُشــبه الى حد ما تلك الاستراحات المُعدّة للســائحين فوق آثار ديرية قديمة، مُجدّدة بطريقة فنية حديثة. كل شيء هنا غريــب، مُوحٍ ومُريح: الأثاث، البلاســتيك، تصميم الأروقة، والتنظيم غير المُباشر للأنوار البلورية. وعلى الجدران يظهر للعيان بصورة جلية، زيوت مقدســة لمنتحرين مشــهورين تعرض باللوحات مشاهد موتهم: سقراط، كليوباترا، سينيكا، ولارا. وعلى قوس محفور في الحجر، تنتصب أبيات من شعر القديسة تيريزا:

تعال متُخفياً بموت

لا يُشعرك بقدومه

لأن متعة الموت

لن تُعيد لي الحياة.

في العمق، سـياج حديدي عريض يحجز حديقة من الصفصاف والورد. وعلى أحد جوانب الحديقة، ثمة بحيرة تنعكس على سطحها سماء زرقاء بعيدة وجبال مُثلجة حديثاً. وفي الزاوية على اليمين، ثمة معرض مُظلم بباب حديـدي ثقيل، يعلوه قوس. وعلى العتبة نقش يقول: "معرض الصمت"، يقابله واحد يُشـبهه، لكنه أكثر وضوحاً ودون أبواب: "جنينة التأمل".

جولي: هـذا التناقض الثابت للمنتحر مع منطـق الحياة. لمَ يقتلُ الناجحون أنفسـهم أكثر من الفاشـلين؟ لمَ يقتلُ الرجال الشـباب أنفسـهم أكثر من الشيوخ؟ لمَ يقتلُ العشاق أنفسهم أكثر من الذين لم يعرفوا الحب؟... ولمَ يقتلون أنفسهم فجراً أكثر من الليل، وفي الربيع أكثر من الشتاء؟

دكتور: من العسير تفسـيره لامرأة سعيدة. لكن الملاحظة دقيقة علمياً.

جولي: قتـل النفس عادة ما يكون رفضاً وحشـياً. لكن أن تقتل نفسك في شرخ الشباب وفي عهد الحب وفي الربيع، إهانة للطبيعة.

دكتور: ربما.

جولي: إنه أيضاً مخالفة قوية لكل الغرائز. الحيوانات لا تنتحر.

دكتور: أحياناً يقوم العقرب بقتل نفسـه بزبانه المسموم حين يجد نفسه مُحاطاً بالنار.

جولي: لكن هذا لا يعني انه يســعى الى الموت على نحو اختياري. إنها خطوة متقدمة لتجنب الألم.

دكتــور: الألم... هنا، الدافع الأســمى. يبــدو لي أن حضرتكِ انتهيتِ من الإجابة على شكوككِ القديمة، دون أن تدركي ذلك. ألا تعتقدين بأن الألم لا يُحتمل مائة مــرة حين يُحيطنا الحب والانتصار، عندما يفور الدم شباباً، وكل شيء حولناورديٌّ؟

جــولي: كلا يا دكتور، حضرتك لا تجعلني أشــك بذلك. الحياة ليست حقوقًا فقط. إنها قبل كل شيء، واجبات.

دكتور: آمل أن تنظري حضرتك الى هذا الأمر هكذا دائماً.

*****

"ممنوع الانتحار في الربيع"، قطعة كتابية مُنتقاة من عمل مسرحي بثلاثة فصول قام بتأليفها الكاتب اليخاندرو كاسونا وعُرضت لأول مرة على مسرح أربرو المكسيكي في 12 حزيران/ يونيو عام 1937.

"لأجل ماذا عشت؟"

للكاتب البريطاني: برتراند رسل

ثلاث عواطف بسيطة لكنها كثيفة بقوة، تحكمت بحياتي: التوق للحب، البحث عن المعرفة، ورأفة لا تُحتمل لمعاناة البشرية. هذه العواطف الثلاث كانت تتأرجح، مثل ريح شديدة، بين هنا وهناك عبر درب غير مستقر، فوق محيط من العذاب عميق حتى حافة الخيبة.

بحثتُ عن الحب أولاً، لأنه يقود الى النشوة، نشوة كبيرة لدرجة تمنيت في بعض الأحيان أن أضحي بما تبقّى من وجودي من أجل بضع ساعات من المتعة. بحثت عنه في المقام الثاني، لأنه يهدِّئ من غربتي، هذه الوحدة المُخيفة التي يطل فيها ضمير مُترنح على حافة العالم ليربأ عن الهوة السحيقة الباردة دون حياة. وأخيراً بحثت عنه، لأني رأيت في عصمة الحب، وبصورة صوفية مُصغرة، الرؤية المُتوقعة للسماء التي تخيَّلها القديسون والشعراء. هذا ما كنتُ أبحث عنه، على الرغم انه كان سيبدو أكثر ألفة لهذه الحياة البشرية، وهذا ما عثرت عليه – في نهاية المطاف ــ..

بمثل هذه العاطفة بحثتُ عن المعرفة. كانت بي رغبة أن أفهم قلب البشر. أردت أن أعرف لمَ تلمع النجوم. وحاولتُ أن أستوعب القوة الفيثاغورية التي يهيمن فيها الرقم على الفيضان. وحصلتُ على القليل مما كنتُ أصبو إليه.

الحب والمعرفة وفقاً للقياســات التي يكون فيها كلاهما مُحتملين، نقلاني باتجاه الســماء. لكن الرأفة دائماً ما كانت تُعيدني الى الأرض. ترن في قلبي أصداء صرخات الوجع. أطفال جياع، ضحايا مُعذَبون من ظالمين، شيوخ مُعدمون، مسؤولية ثقيلة على أبنائهم، وعالم بأجمعه يعاني من وحدة، فقر وألم يتحولان الى سخرية ما كان يجب أن تحدث في الوجود البشري. أرغب أن أخفف من الشرِّ، لكنني لا أســتطيع، لأني أعاني أيضاً.

تلك هــي حياتي. وجدتهــا جديرةً في أن تُعــاش، وبسرور بالغ سأعيشها من جديد إن سنحت لي الفرصة.



"سرفانتس واللغة الإسبانية"

الباحثة الارجنتينية: سوزانا مارتوريل دي لاكوني

تعد اللغة التي عكسها سرفانتس في عمله الكبير "دون كيوخته دي لا مانشا"، إحدى اللغات التي كانت مُتداولة بين الفرسان في القرن السادس عشر والسابع عشر. كانت اللغة السائدة في ذلك العهد، حين كانت اللغة القشتالية، والتي سُميت فيما بعد الإسبانية، قد وصلت ذروتها، على الرغم من أن التلاعبات التي كان يمارسها في اللغة، تعكس آثاراً هزلية مع الكلمات القديمة المستعملة. تسود النغمة الفكاهية في العمل كله. وستكشف الدراسة الاجتماعية ــ اللغوية عن وجود الكثير من المتغيرات الزمنية (diacronicas) والموضعية (diatopicas) فيما يتعلق بالأمور والروابط اللغوية المُستخدمة لإثارة المؤثرات الخاصة، كالضحك. يجب أن لا ننسى أن أحد الملامح البارزة في عمل سرفانتس، هي روح الدعابة، إذ كان يمتلك ميزة الاعتراض على نفسه والسخرية منها عند ظهوره المُتكرر في العمل كله، بصفته مؤلفاً اختبارياً.

لا يمكننا التوقف عن التفكير في خاصية أنه، كمبتكر للرواية الحديثة، أرسى في "دون كيخوته" دعامة الواقعية أنموذجاً للروح الإسبانية، رغم أنها لم تتحقق في الكثير من الأعمال الأدبية السائدة آنذاك، كالرواية البيزنطية، والرعوية وروايات الفروسية في بدايات القرن السادس عشر. هذه المحاكاة للواقع الذي كان يشهده، قاده

الى تقليد خطاب الشـــخصيات مــن مختلف المناطــق والأزمان بما فيــه كلام اللصوص ولغــة الطبقة الدنيا، إضافــة الى اللغة القديمة والمُتقصاة للفرســان الجوالين –آماديس– كما سنرى فيما بعد. حتى الأســلوب الذي أطلق عليه "لابوف" عام 1983 تسمية "العامية"، ظهر مع المتغيرات المتطورة عبر مراحل (diafasica) بنطق الكلمات المحظــورة. ويُلاحــظ أن سرفانتس عمل على اســتخدام التعددية اللغوية في سابقة هي الأولى من نوعها. ولابد من الاعتراف أن عملاً كهذا يحتاج الى مهارات كبيرة كان سرفانتس يمتلكها.

لنترك الشــفاهية المنعكســة في العمل ونعد الى لغــة ذلك العهد والذي سمح لنا عمله الجبار أن نعرفها أفضل من أي كاتب آخر.

إن اللغة التي يعكســها ســيرفانتس في تحفته هي اللغة الإسبانية المُتداولة في القرنين الســادس عشر والســابع عــشر. في نهاية القرن الخامس عشر، خلال الفترة التي ســمّاها دون رافائيل لابيسا 1980 "ما قبل الكلاسيكية" والممتدة من 1474 الى 1525، والتي فيها بلغت اللغة القشــتالية أقصى امتداد لها مع اكتشــاف أمريكا وطرد اليهود الســفرديين ذوي الأصول الإسبانية من إسبانيا، والذين حملوا اللغة القشتالية الى الشرق الأوسط ودول البلقان. ومع ذلك، فإن اللغة لم تبلغ "أقصى ذروتها" – مثلما كان يعتقد نبريخ ـــ بل إن أقصى انتشار لهــا كان خلال القرن الســادس عشر في عهــدي كارلوس الخامس وفيليب الثاني من خلال توسع الإمبراطورية داخل أوروبا نفسها.

إن توحيد التغييرات الكبيرة في النظام الصوتي الإســباني حدث

خـــلال النصف الثاني من القرن الســـادس عـــشر والربع الأول من القرن الســـابع عشر، بحيث أن سرفانتس، الذي كان يعيش في تلك الحقبة، تمكّن من تخليد لغة إسبانية معروفة على صفحاته. وما حدث بعد ذلك، لم يكن على درجة من الأهمية.

ومع ذلـــك، لا تزال هناك جدليات قائمـــة. في الأندلس مثلاً لا يتم لفظ حرف /q/ ق إلّا من خلال الصفير الأسناني الأربع أسنان أو سنخي أســـناني فيقتصر على واحد: /s/ س الخارج من الأسنان وليس من رأس اللسان مع تفخيم التلفظ الثنائي الصمي والصوتي.

بدأت مفردات القاموس تتكاثر مـــع الاصطلاحات الايطالية، الفرنســـية، البرتغالية، الألمانية والامريكية. وهذا ما انعكس في عمل سرفانتس الذي ساهم في تثبيت اللغة بشعبيتها، بسيطرة تامة.

ما فتئت "دون كيخوته" تحوي على مزيج من الصيغ القديمة جداً والصيغ الســـائدة. وهكذا نجد مثلاً "أفعـــل بالأرض" (Haz de la tierra)، والتي يســـتعمل بدلها آنذاك "Faz"، والتي اســـتعملت في روايـــة "الغيورة" أيضاً. أمّا فيما يتعلق بصيغة المبالغة (isimo) التي لم تكن شـــائعة في القرن السادس عشر، فإن سيرفانتيس أظهرها كما لو أنها مبحوثٌ عنها، وهكـــذا في الفصل 38 من الجزء الثاني، تتحدث السيدة دولوريدا الى الدوقات والى دون كيخوته وسانشو، مستعملةً صيغة المبالغة: "ســـيدي المقتدر جدا"، وسانشـــو يتهكم: "البانزا هنا والكيخوته الأكبر أيضاً" (11،38،840). إن الطابع الفكاهي الذي يعكسه سيرفانتيس في كل عمله، يُوظّف هنا في التهكم بالمصطلحات

المبحوث عنها والاستعمالات غير المُرسخة.

هناك وسيلة يستعملها سيرفانتيس كثيراً، وتتجلى في التلاعب باللغة. وبهذا يحقق مفعولاً فكاهياً من خلال اللغة القديمة والأشكال التي لم تعد تُستعمل، او من خلال التلاعب في تركيب الكلمات: "ـ أنا كلياً مع "لا كراما"، النحو (la grama) ـ يقول سانشو ـ ولكن لستُ مع "تيكا" الصرف (tica)" (11،3،571) "لا حكايات ولا حسابات" (11،3،574). أحياناً يظهر التكرار المُتعمد: "أنظروا، عليكم أن تلتزموا بما أقسمتم، ولو لم يكن اعتبارا للقَسَم المؤدّى، أقسم أنني سأعود لمعاقبتكم..." (1،4،51).

كل جدلية القرن السادس عشر استعملها سيرفانتيس في الكيخوته. هو نفسه يعتمد على متغيرات موضعية متنوعة :(-diatop icas) الشمال الجنوبي، قشتالة، الأندلس، حتى بيثكايا (بالبيثكايينو المستعمل في الفصول 7 و9 من الجزء الأول). أحيانا تكون المتغيرات زمنية متنوعة (diacronicas): عندما أراد دون كيخوته أن يبدو ذلك الفارس الرحالة، والذي كان يتخيل نفسه فعلاً كذلك، كان يتحدث مستعملاً لغة قديمة. وهكذا حين خرج لأول مرة وهو يحاور نفسه قائلاً: "بالكاد كان هناك أبولو الأشقر يمدد على وجه الأرض الواسعة والرحبة بالخيوط الذهبية لخيوله الجميلة، وبالكاد أقدمت وبألسنتها الطيور الصغيرة والملونة على تحية قدوم الفجر بصوت عذب ومعسل" (1،2،35).

في الفصل ذاته، تكون لغته القديمة والمُنقب عنها محط سخرية

الفتيـــات، بعد الفزع الذي أثاره شـــكله المضحك. يقول: "لا تهربن حضراتكـــن ولا تخفن من أي فاســـد، لأنه في عالم الفروســـية التي أمارســـها، لا يمكن إيذاء أي أحد، فكيف يمكن ذلك مع ســـيدات مرموقات مثلكن، وكما تدل على ذلك هيئاتكن" (37،2،1).

إن ملامـــح اللغة القديمة تظهر بوضوح في: (هيئاتكن vuestras presencias) (تهربـــن "huyan "Fuyan) (لأنه "porque "ca) (لا "no "non)... الخ. ومن غير المنطقي أيضاً إظهار النغمة الرســـمية التي يجري الحديث فيها مع مومسات.

كما يعتمد ســـيرفانتيس على متغيرات أخرى، طبقاً للمســـتويات السوسيو ثُقافية، بين (لغة راقية ولغة شعبية): النبلاء، دون كيخوته والرواة يستعملون لغة راقية، بينما سانشـــو يستعمل اللغة الشعبية، ومثله الفلاحون مع بعض سكان الأرياف.

اللغة الراقية بالنســـبة لســـيرفانتيس، هي لغة من يُجالس الملوك والأمراء. في الفصل 19 من الجزء الثاني يقول: "اللغة النقية، الرفيعة الواضحة تُتداول بين صفوة المجتمع الراقي، ولو كانوا من ســـكان ماجاداهوندا..." (694،11،11).

وهذا يبعده عن روائيي الثلث الأول من القرن الســـادس عشر، مثل خـــوان دي فالديس وغارثيلاســـو اللذين يعتـــبران الأنموذج اللغوي هو المستعمل في طليطلة. إن سيرفانتيس يقترب في نمطه من اللغويين المنتمين الى القرن العشرين، في بحثه عن القاعدة التي يمكن أن تتنوع حسب المكان الذي تتموقع فيه الوضعية المطروحة.

سانشــو يُظهر عبر طريقة كلامه، مســتواه الاجتماعي المتدني. إذ يغير المفردات او يعطيها معنى آخر. وأحيانا يستعمل نصوصا دنيئة، مما يدفع دون كيخوته الى تصحيح لغته باستمرار.

في الفصل 17 من الجزء الأول، عندما كان سانشو، يعنّف وسيِّده من أحد رجال الشرطة، قال: "... بحيث إن قبضة العصا كانت قطعة حلوى أو رغيفًا مدهونًا (...) ليت صاعقة تأخذني وتُثكل الأم التي وضعتني، لأنني لست فارســاً جوالاً، ولأني لا أفكر أن أكونه أبداً، وليكن لي من بين كل التفاحات الفاسدة، أسوأ نصيب!" (1،17)

في الفصل 29 من نفس الرواية: ، يحدِّث سانشــو نفســه: بالله، عليّ أن أبيع بثمن بخس فتى مــع كبير، او كيفما يمكنني، وإنهم مهما كانوا ســوداً، عليّ أن أحيلهــم بيضاً او صفرا. تعالــوا إنني أرضع أصبعي" (1،29،296). هنا يستعمل سانشو حرف القسم (بـ par) بدلاً من (por) والفعل (يــسرقvolar) بدلاً من (يبيع بثمن بخس malvender)، و(chico con grande) بــدلاً من (معاً conjunta-mente)، و(أحيلهم بيضــاً volver blancos) أي أحيلهم الى قطع معدنية من الفضة (صفرا amarillo) أي الى ذهب.

الجمل التي جعلها الكاتب شــعبية والأقوال المأثورة تخرج دائماً من شفتي حامل الدرع. الأقوال المأثورة تأتي دائماً على لسان سانشو، وفي كثير مــن الأحيان ينطق بها دون كيخوته. وأول مرة اســتعمل فيها سانشــو الأقوال المأثورة بكثرة، جاءت في الفصل 25 من الجزء الأول، لدرجــة أثار فيها حفيظة دون كيخوتــه، الذي قال: رباه، يا

للحماقات التي أدمنتَ عليها. وماذا عن تعاملنا مع هذه الأقوال التي تحيك خيوطها؟" (233،25،1).

في الجزء الثاني، نجد اســتعمالات أكثر لهذه الأقوال. وهكذا، في الفصــل 36، مثلاً "ســلبياً ذاك الذي يتفاعــل" وفي الفصل 37 "مع المســتمع الجيد، تكفي كلــمات قليلة" وفي الفصــل 58 "ضع جسراً من الفضة للعدو الذي يفر" على لســان دون كيخوته، والأشد حزناً تكمن في الفصل 74 – الأخير في الرواية ـــ "لم يعد هناك عصافير في الأعشاش القديمة" وهذا ما قاله الونسو كيخاو الطيب.

في الفصل 21 الجــزء الأول، يفسر دون كيخوته لسانشــو قيمة الأقوال المأثورة : "يبدو لي يا سانشــو أن ليس هناك قول مأثور غير حقيقي، لأنها جميعاً حِكَم مُســتقاة من التجارب نفسها والتي هي أم العلوم جميعها، وعلى وجه الخصوص تلك التي يقال فيها... لا يُغلق باب إلا ويُفتح آخر..." (15،1).

ويتحول سيرفانتس الى مؤســس للقواعد حين يُصحح لسانشو في الفصل 21 من الجــزء الأول: "تزعم أنني لا أعرف كيف أتعامل مع ما هو مطروح! – قال سانشــو – المفروض يجب أن تقول، وليس مطروحاً – قال سيده..." (198،21،1).

من خلال بطله، يُبدي سيرفانتس انشغاله بأداة عمله الأدبي والتي هي اللغة الإسبانية، كما يبرز موقفه إزاء استعمال هذه اللغة.

في مقدمــة الكيخوته، يقول المؤلف نفســه لصديقه الافتراضي، الــذي يظهر هناك: "لكن حاول ذلك على الســهل، بكلمات مُعبِّرة،

صادقــة وفي محلها، قل جملتك ولتكن مرحلــة رنانة وفيها احتفالية" sino procurar que a la llana, con palabras significati-) vas, honestas y bien colocadas, salga vuestra oración y .(…período sonoro y festive

يقول "على الســهل" أي ما يشــبه "أكتب كما أتكلم" على طريقة فالديســيانو، أي يجب أن تكون "مُعبرة، صادقــة وفي محلها". يقول سرفانتس إن كلمة "صادقة" تعني إعطاء صفة منفردة واســتعمالها، كما لو أن المعنى يتفوق على الأهميــة ولا يضر بمغزى الكلمات التي تعكس الفكرة. وهذا يُرينا الكاتب ميغيل دي ســيرفانتس سافيدرا المُنشــغل بجمالية الفن الباروكي والذي كان بدأه ولم يستطع أحد أن يوقفه بعد آن وجد نفسه مُنغمساً فيه.

وهكــذا، يبدي في هذه الكلمات ســيرفانتس اهتمامه بعلم النحو حســب القواعد المعياريــة، حيث "إن الكلمات يجــب أن تكون في مكانها المناســب". ثمة معيــار للتصحيح ينطلق من إلمامه الشــامل باللســانيات والنحو والصرف، وهذه الكفــاءة مكَّنته من التلاعب باللغة القشتالية، على اعتباره أهم كاتب باللغة الإسبانية.

ومن خلال صفحات الرواية نراه مثل معلم متخصص ، يصحح لـ"سانشو" ولكل أولئك الذين يُحرفون الكلمات او يسيئون استعمالها. هكذا يقول للراعي بيدرو: "كريس الشــمس والقمر"، "الخســوف يســمى يا صديقي، وليس كريــس، حين يكون هــذان الكوكبان الكبيران" في ظلام دامــس - يقول دون كيخوته..." (1،12،104).

ومثلـــما أدلى المؤلف برأيه: دون كيخوته لا يمكن أن يتحمل "ســـوء استعمال مفردات راعي الماعز".

عندما كان دون كيخوته يغضب، يشـــتم، كما لو أنه يفعل ذلك في الحياة الحقيقية. لدينا هناك أسلوبه العامي، حسب لابوف (1983) الذي يعترف بوجود مســـتوى مختلف داخل لغة التخاطب العائلية، والتي يســـميها "الأســـلوب العامي"، اذ يحـــدث في مواقف خاصة جـــداً، كما في حالات الغضب. وهكذا يبين لنا دون كيخوته، في هذه المواقف، أسلوبه العامي الذي يتقبل فيه استعمال مفردات غير لائقة، مثلما يحدث في العادة.

وعند التخاصم مع سانشـــو يقول في الفصـــل الثلاثين من الجزء الأول: "تعتقدون، أيها الدنيء المنحط، انه لابد من وجود مجال لكي أضع يدي في العكازة وأن كل شيء ســـينمحي وأســـامحكم أنا؟ لا تفكروا بهذا أبداً ، أيها المنحرف غير المُتدين، وليس هناك مجال للشك إنك كذلك، إذ أنك تجرأت بالحديث على التي لا مثيل لها، دولثينيا. ألا تعرفون أيها الجشع، الحمال (ganapán إنسان فظ) السافل (ruin كلمة جديـــدة أي الدنيء) انه لـــو لم يكن هناك اعتبـــار للقيمة التي تبثها في ذراعي، فلا خير بهـــا حتى لو كانت من أجل قتل برغوثة؟" (306،30،1-7).

في الفصل 22 من الجـــزء الأول: "بعد الحريـــة التي منحها دون كيخوته الى العديد من تعيسي الحظ، الذين حُملوا بســـبب مستواهم المتدني، الى حيث لا يرغبون". الفارس يمتطي جواده غاضباً بعد أن

حررهم، وحين يرفض هؤلاء الذين يتزعمهم خينيس دي باسامونته، الذهـــاب الى دولثينا لرواية "المأثــرة": إذن أغرب عن وجهي – قال دون كيخوته بغضب ــ يا بـــن العاهرة الصغير خينيس دي باريبيو، كما يســـمونك، عليك أن تذهب لوحدك، ذيـــل بين فخذين، مكبل بسلسلة نحو المنحدر..." (211،33،1-1-21).

لم يستعمل الأسلوب العامي فحسب، بل لغة السوقة في العصور الوسطى أيضاً. وبصفته فارساً قديراً، لا يعترف دون كيخوته على ما يبدو بالمفردات التي جرى تطويعها دلالياً والتي يســـتخدمها العبيد. إن الكلـــمات العامية للمتشرديـــن في عهده، تُســـتخدم في الأعمال الأدبية للإثـــارة والضحك. الفكاهة عند سرفانتـــس، تُظهره أمامنا فارساً ســـاذجاً، كثير الكلام شريفاً، لا يشعر بمصيدة الكلمات حين لا تكون "شريفة" مثلما يقول. لم يفهم بأن "العاشـــق" ممكن أن يعني "ســـارقًا" و"كناريًّا"، أن "يكون أشقرَ" (لأنه يغرد او يعترف بالشوق او بالعذاب).

يســـتخدم سرفانتس على مدى صفحـــات الرواية، مصطلحات السوقة في العصور الوســـطى، مثلاً: (يلمح columbrar) بدلاً من (يرقب avizorar) (152،21،1): ما أراه وألمحه ليس ســـوى رجل يركب حماراً".

يستعمل سرفانتس الكثير من كلماتهم في أعماله الأدبية الأخرى: رنكونيتـــه وكورتاديو، مناجاة الكلاب، الوغـــد المحظوظ وأخرى غيرها.

إن بانوراما اللهجات الشاسـع لإسبانيا في عصر الكاتب، تظهر باسـتمرار في كل أعماله. يعتـبر سرفانتس عالم اجتماع ولسـانيات عصريًّا في القرن العشرين، كما يظهر من خلال التباين اللغوي الجلي على لسـان كل شـخصيات أعماله، وفي الوقت ذاته يُعد عالماً لغوياً تقليدياً لا يقبل المخالفات خصوصاً على مستوى القاموس.

وهكذا كانت اللغة الاسبانية السائدة تتجسد في كل أعماله، تماماً مثلما كان يستوعبها ويُغذيها. هذه اللغة وصلت إلينا بصورة حاسمة رغم بعض التغيير.

المصادر:

- بلوم هارولد، 2005، أين توجد المعرفة؟ بوينوس آيريس، تاوروس.

- سيرفانتس ميغيل دي (1605–1615) دون كيخوته دي لا مانشا، الطبعة الرابعة بعد المائة. أف ريكو، الأكاديمية الملكية الاسبانية. جمعية أكاديميات اللغات، الفاكوارا.

- فرنانـــدو دي افيانيدا، الونســـو (1614) 1971، الطبعة الثانية من النبيل الساذج دون كيخوته دي لا مانشا الذي يحتوي على خروجه الثالث، الجزء الخامس من مغامراته، فالنثيا، كاستاليا.

- هيدالكـــو، خـــوان (1906) 1789، روايات من الســـوقية لمجموعة من الكتّاب بمفردات الأمر لـ (a,b,c) لمؤلفه خـــوان هيدالكو، طبعة انطونيو دي سانشا، مدريد.

- لابوف، وليام 1983، "نماذج اجتماعي لغوية" مدريد، غريدوس.

- لابيسا، رافائيل 1980، "تاريخ اللغة الاسبانية" مدريد، غريدوس.

أفضل عشرة كتب

لـ "ميغيل دي سرفانتس"

تضمنت الأعمال الأدبية للعبقري الإسباني الشهير ميغيل دي سرفانتس، نماذج ثرية من الأجناس المعروفة في النصف الثاني من القرن السادس عشر. ونستعرض هنا، تاريخياً، عشرة عناوين بَصَمَت على أدب ذلك العهد ثراءً وتفرداً، لأن سرفانتس ليس "دون كيخوتيه" فقط.

"لا غاليتيا"

نُشرت عام 1585 مُنبثقةً من بين ما يُسمى بالرواية الرعوية بما أُسبغ على أبطالها الرعاة. ترتكز الحبكة في مكان ما قرب "تاخو" وتحوي على الكثير من الأفكار التي كان يمتلكها "سرفانتس" حول الحب. الشخصيتان الرئيستان "اليثيو" و"اراسترو"، راعيان مُغمرمان بـ"غاليتيا" الشابة التي تُجسِّد الفضيلة التقليدية للشخصية النسائية للمؤلف: الشرف والمثالية. يتصارع الرجلان لنيل حب "غاليتيا" التي تُقاوم بما يُسبب الوجع للرجلين.

"مأساة نومانثيا"

هي دون شك أعظم أعمال "ميغيل دي سرفانتس" المسرحية، إذ أضفى عليه المؤلف غارات أقل مما في الرواية. تُعرف أيضاً باسم "نومانثيا" ويُعتقد أنها كُتبت عام 1585 مبنية على الحروب السلتي

إيبيريــة في القرن الثاني قبــل الميلاد. صُبغت المسرحيــة بالتراجيديا الكلاسيكية من خلال ســكان "نوماتنشيا" الذين قدَّموا التضحيات قبل أن يرضخوا تحت سيطرة الإمبراطورية. واحدة من أفضل نماذج المسرح الإسباني للقرن السادس عشر.

"العبقري شريف النسب دون كيخوته دي لا مانجا"

يُعد العمل الأشهر بالقشتالية وقمة الأدب الإسباني. ظهر الجزء الأول منه عــام 1605. هجاء لروايات الفرســان، تجاوزت هدفها الرئيس وتحولت الى انعكاس عالمي وخالد لتصرفات الانسان. كثير من النقّاد والقراء اعتبر جزأها الثاني الذي نُشر بعد عشر ســنوات، كأفضل عمل أدبي مُتخيل. كان ومــا يزال موروثها وتأثيرها هائلاً. الفارس دون كيخوته وتابعه سانجو بانثا، شخصيتان تطوفان ضمن منطقة "مانجا" ويقومان بمغامرات مُضحكة.

"الغجرية الصغيرة"

الأوسع انتشاراً لما يُسمى بـ "الروايات المثالية"، وهي سلسلة من الروايــات القصيرة التي كتبها سرفانتس بين عــام 1590 و 1612، ونُشرت عام 3161. تســطر "الغجرية الصغيرة" حياة طفلة غجرية، يُغرم بها أحد النبلاء ويقرر أن يغادر ارستقراطيته ليتبع طريق الشابة من أجل نيل حبها.

"رنكونيته وكورتاديو"

تُــدرج ضمن "الروايات المثالية" أيضــاً، يتصدى فيها سرفانتس لأدب الصعاليك، وهو الميدان الذي سبقه فيها "لاثاريو دي تورمس"

بنصف قرن. تُعد واحدة من الروايات الأكثر شعبية في إسبانيا في ذلك العهد. يغادر الشابان "رنكونيته وكورتاديو" مكانهما ويستسلمان لحياة مجهولة برفقة مجموعة مــن المجرمين. يلعب سرفانتس هنا بموضوع الخلاص الشخصي ويقدمه في الكثير من أعماله.

"مناجاة الكلاب"

يتغلغل سرفانتس من جديد في حقل المجازات الأكثر مثالية، من الخيال الذي يمتلكه بطلاه الكلبان "ثيبيون وبيرغانثا" اللذان يتميزان بالقـــدرة على الكلام ليلاً. يقص بيرغانثـــا مغامراته مع تأثير واضح لأســـلوب الصعلكة. عسكري جريح يشـــهد المحادثة بين الكلبين وتتكـــون لديه خلاصة حول الحياة. تُشـــكل جزءاً مـــن "الروايات المثالية" أيضاً.

"غيور استريمادورا"

يُعتـــبر الفحوى الداخـــلي لـ "غيـــور اســـتريمادورا" واحداً من المنحدرات العســـيرة جداً للحب والغـــيرة، والتي تُدرج أيضاً تحت لائحـــة "الروايات المثالية". يصـــف سرفانتس الغـــيرة المُرعبة التي تســـتوطن أحد الهنود الذي يقرر أن يســـجن زوجته لتفادي اتصالها مـــع أي رجل. لكنه مع ذلك يبذر في طريقه المذلة الشـــخصية، حين يخصص أحد العبيد الزنوج لمراقبة زوجته.

"الخادمة الشهيرة"

في هذا العمل الـــذي يعتبر أيضاً واحداً مـــن "الروايات المثالية" ينطلق شابان من عائلتين معروفتين "كارريثو وأباندانيو"، جرياً وراء

حياة الصعلكة، في إشارة الى "رنكونيته وكورتاديو". يتعرف أباندانيو خلال رحلتهما الى الخادمة كونســتانزا ويُغرم بها. كانت غير معروفة النسب حتى النهاية حيث تكون المفاجأة وحل العقدة.

"رحلة الديوان"

نُشر عام 1614 ويعتبر واحداً مــن مغامرات سرفانتس في حقل الشــعر، مع إيحاءات عديدة الى الكلاســيكية الإغريقية. المؤلف هو بطل الديوان. مع شــعراء إســبان يقرِّرون خوض نزال ضد شعراء العصور الوسطى المتقفضين على قصائد الغزل. ديوان شعر يتضمن تلميحات لحياة سرفانتس الشخصية ودفاع عن الأدب الجيد.

"أعمال برسيلس وسيخيسموندا"

العمل الأخــير لسرفانتس هو أنموذج لجنس أدبي ثانوي للرواية البيزنطينية لما يُسمى فيما بعد بأدب المغامرات الذي يُحيي فيه سرفانتس من جديد، نثر اليونان الكلاســيكي. مع ذلك، يبتعد سرفانتس هنا عن الملامح الواقعية لبعض الروايات ويقود حبكة يحتوى احتدامها على عناصر، ستجتمع ثانيةً بعد قرن جنباً الى جنب الواقعية السحرية لكتاب أمريكا اللاتينية.

.

"مفهوم الحياة"

للكاتب الإسباني: خوسيه أورتيغا أي غاسيت

"العشـــق حالة من البؤس العقلي تضيِّقه حيـــاة ضميرنا، تُفقره، وتشلُّه".

لكنني أريد قبـــل أن أنتهي، أن أترك لـ "حياتنـــا" تعريفاً متقدمًا قليلاً.

إن الانشغال الذي نحن عليه الآن، ينشأ وينتج عن غرض يُطلق عليه بالعاميـــة الهدف. هذا ما أنا عليه الآن ، وبهـــذا الفعل أنا حيٌّ، قررتـــه بنفسي لأني آمنتُ، مـــن بين الاحتمالات المُتاحـــة أمامي، أن حياتي هكذا ستكون أفضل. كل واحدة من هذه الكلمات، هي طبقة تحليلها لا ينضب. واســـتناداً لها، فإن حياتي الحالية التي أمارسها أو مـــا أقوم به بالفعل، هي التي قررتني: أي أن حياتي ببســـاطة قبل أن أفعل، كانت تقرير الفعل، أي تقرير حياتي. حياتنا تقرر نفسها وتمنح حضوراً مُبكراً لنفســـها، لا إرادة لنا فيها، مثل مسار الرصاصة التي أُشـــير اليها قبل يوم. بيد أن تقرير المصير يفسح المجال في أن تعيش، وتجد نفســـك في عالم غير مُحكَم، لكنه يُقدم احتـــمالات دائماً. العالم الحيوي يتألف بالنســـبة إليّ في كل لحظة مـــن القدرة على فعل هذا او ذاك على نحو إرادي. ومن جانب آخر، إن هذه الاحتمالات ليســـت مطلقة، وإلّا لن تكون احتمالات محددة، وفي عالم لا تحديد فيه بصورة

مطلقة، يتساوى فيه كل شيء على نحو احتمالي، ولا يعود هناك مكانٌ لتقرير الذات. ولكي ينبع القرار لابد من وجود حد واتساع، تحديد نسبي. وهذا ما أعبر عنه بمصطلح "الظروف". الحياة ترتكز عادة على ظروف معينة وعلى حالة – محيط ـ الأشياء والأشخاص الآخرين. ولا يمكن العيش في عالم غامض، بل إن العالم الحيوي هو الظرف الجوهري هنا في هذا العالم الآن. والظرف شيء محدد ومغلق، لكنه في الوقت ذاته مفتوح وبانسيابية داخلية مع تجويف او خداع أينما تنقل خطواتك وحيثما تقرر مصيرك: الظرف هو سيل خلقت منه الحياة حوضاً حتمياً. أن تحيا يعني أن تعيش هنا، والآن – الـ هنا والـ الآن ــ صارمتان ومتلازمتان، لكنهما واسعتان. كل حياة تقرر نفسها بنفسها على نحو ثابت بين احتمالات عديدة. الكواكب تحث لكنها لا تجرف. الحياة باعتبارها قضاءً وحرية في ذات الوقت، هي أن تكون حراً داخل القدرية المُعطاة. هذه القدرية تعرض علينا جدولًا بالإمكانيات المحددة التي لا ترحم، أي أنها تعرض علينا مصائر متنوعة. نحن نقبل هذه الحتمية التي نقرر من خلالها المصير. الحياة مصير. آمل أن لا أحد من الذين يصغون إليّ، ينبهني بالضرورة، بأن الحتمية تناهض الحرية. نعم، إن ما لا أؤمن به، أقول له بأني أشعر بالأسف على الحتمية وعليه. الحتمية في أفضل حالتها وبشكل دقيق، كانت نظرية حول واقعية الكون. حتى لو سلّمنا بصحتها، فلم تكن سوى نظرية، ترجمة، وأطروحة إشكالية على نحو واعٍ، من المناسب إثباتها. وعليه، وإن كنتُ من المؤمنين بالحتمية، فلن أستطيع أن أسمح أن تُطبق هذه النظرية بتأثيرات رجعية على

الواقع الأساسي غير القابل للشك الذي نكتشفه الآن. ومن أجل أن يكون غاية في الحتمية، بطريقة عيش غير محددة نسبياً، يقرر بنفسه في لحظة ما أن يتراوح بين الحتمية واللا حتمية. وتبعاً لذلك سيتساوى لديه، في هذا المضمار، الإلمام غير الشامل بالحتمية، وما يعنيه تحليل الواقع البدائي، قبل أية نظرية. لا ينقص شيء حين أقول أنا: الحياة، قضاءٌ وحرية، احتمالية محددة لكنها احتمالية مفتوحة ولا ينتقص من الأمر شيئًا قولي هذا. ليس فقط لا أستطيع تبريره، او القيام بمحاولة لذلك، بل لأني لا أمتلك الأسباب التي تبرره ولستُ مضطراً للهرب عن كل المنطق على نحو واعٍ وحشر نفسي بصورة مهذبة للتعبير عن مفاهيم واكتشاف الواقع الأصلي الذي يتمثل أمامي، والمُفترض من كل نظرية، كل منطق، وكل محاولة. إن (وصف هذا المسرح) هو بمثابة رؤيا حزينة لا أريد أن أفترضها في حضراتكم، جاءت عبر ملاحظات أساسية قمتُ بها في البداية. والآن أسمح لنفسي أن أشير الى أن النظرية الحتمية اليوم، هكذا بدون رتوش، غير موجودة لا في الفلسفة ولا في الفيزياء. ولكي تسندني بخطوة ثابتة وشجاعة، أستمتع الى ما يقوله أحد الفيزيائيين الكبار في عهدنا هذا – هيرمان ويل خليفة آنشتاين ــ في كتاب حول منطق الفيزياء، نُشر قبل سنتين ونصف السنة: "حول كل ما قيل، يتضح الهوة الشاسعة للفيزياء اليوم – مع محتواها وسط القوانين والاحصاءات– بوضع يمكنها من المجازفة بالدفاع عن الحتمية". واحدة من تقنيات الكتمان العقلي التي لمحت اليها، تضمن في حال سماع شيء وتحويله الى فعل اعتراضي أساسي جداً، لا نفكر انه سوف يحدث أيضاً للمتكلم او

الكاتب، وإننا نحن على الأرجح لم نفهم ما قاله. وإن لم نفكر في هذا، فسنظل مجردين من أية وسـيلة دفاع أمام الشخص الذي نسمعه او الكتاب الذي نقرؤه. إنها إذن حياة هذا الواقع المُتناقض ظاهرياً الذي يتضمن تقرير ما سـوف نكون عليـه، او ما لم نكن عليه الى الآن، في وضع اللبنة الأولى ليكون مسـتقبلاً. وعـلى النقيض من ذلك، فإن الكائن الكوني الحي، يبدأ فيما سيكونه لاحقاً. وهذا مستحيل إذا كان الوقت أصلاً وقتاً كونياً.

الوقـت الكوني هو الحـاضر فقـط، لأن المسـتقبل لم يحن بعد والماضي لن يعود. إذن، كيف لا يزال الماضي والمسـتقبل جزأين من هذا الحاضر؟ وعليه من العسـير إدراك مفهـوم الزمن الذي دوّخ الفلاسفة.

إن "حياتنا" مسـتكينة ترتكز على اللحظة الحاضرة. لكن، ما هي حياتي في هذه اللحظة؟ إن ما أعيشـه الآن ليس في تحريك الشـفتين فقط، فهذا شيء آليٌّ خارج حياتي ينتسـب الى الكائن الكوني، بل في أن أفكر فيما سـوف أقوله: في هذه اللحظة التـي أكون فيها خطوة سابقة لمشروع مستقبل. لكني ولكي أقولها، أحتاج الى توظيف بعض الوسائل - كلمات ــ وهذا ما يزودني به ماضيِّ. وعليه، فإن مستقبلي يدفع بي لكشف ماضيِّ الذي يمكّنني من تحقيقه. الماضي الآن حقيقة، لأني أعيش فيه من جديد وحين أجد في ماضيِّ الوسائل التي تعينني على تحقيق مستقبلي هي عندما اكتشف حاضري. وكل هذا يحدث في لحظة واحدة، الحياة تتسـع في كل لحظة بثلاثة أبعاد للزمن الحقيقي الداخلي. أما المستقبل فيثب بي نحو الماضي، وهذا نحو الحاضر، ومن

هنا أذهب الى المســتقبل مرة ثانية، ليرمينــي في الماضي الذي بدوره يقذفني نحو الحاضر في دورة أبدية.

نحن راسخون في الحاضر الكوني الذي يشبه الأرض التي تطؤها أقدامنا، فيما يميل الجســد والرأس نحو المســتقبل. كان الكاردينال كوسانو على حق حين قال فجر عصر النهضة: Ita nunc sive prae- tempus complicat sens . الساعة او الحاضر يتضمن الوقت كله: الآن، القبل والبعد.

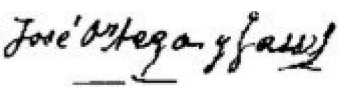
نحــن نعيش في الحــاضر، في المرحلة الحاليــة، لكنه غير موجود بالنسبة لنا في المقام الاول، بل منه ننطلق.

وحضرتكم تلاحظون أن من بين كل أركان الأرض، فإن الشيء الوحيــد الذي لا يمكن أن ندركه مباشرة هو ذلك الذي يكون تحت سيطرتنا في كل الحالات.

وقبل أن نرى مــا يُحيط بنا، نحن عصبة أصلية من الشــهية، من الحماس ومــن الأوهام. جئنــا الى العالم مُزودين بالطبــع بنظام من الأفضليات والازدراءات المتوافقة تقريباً مع الغير، الذين يحمل كلٌّ منهم داخل نفســه إنساناً مُسلحاً مســتعدًا لإطلاق النار على الآخر او على كل شيء، كمجموعة من الظرافة والاســتنكار. القلب، هذه الماكينة الدؤوبة من التفضيلات والصدود، هو معين شخصيتنا.

إذن ليــس من المحبــذ أن نقول بأن الانطباع هو الأســاس. ولا شيء أكثر أهمية لتجديد فكرة ماهية الانســان مثل تصحيح المنظور التقليدي الذي بموجبه، إذا رغبنا بشيء ما، فلأننا رأيناه من قبل. إن

هذا يبدو واضحاً، مع ذلك، هنـــاك خطأ في جزء كبير منه. إن الذي يرغب بالحصول على ثروة مادية ، لم ينتظر من أجلها، رؤية الذهب، بل انه سيبحث عنها بالطبع أينما تكن، مهتماً بالجانب التجاري الذي يحملـــه بداخله في كل موقف. نحن لا نرغب بشيء ما لأننا رأيناه من قبل، بل على العكس، لأننا في أعماقنا نفضل هذا النوع من الأشـــياء، فنبحث عنها عبر إحساســـنا بالعالم. ومن الضجيج الذي يصلنا كل لحظة، ويمكننا سماعه مادياً، نسمع فقط في الواقع تلك التي تسترعي انتباهنا، أي تلك التي نفضلها وتشدُّ انتباهنا. إن كل رؤية هي نظرة، وكل سمع هو إصغاء في نهاية الأمر. (...)



خوســيه اورتيغا أي غاســيت (الأعمال الكاملة، ما هي الفلســفة؟ الجزء الحادي عشر، مطبعة آليانزا 1983)

اليخاندرا بيثرنيك: القصيدة الملعونة الأخيرة

الكاتب الارجنتيني: اينس مارتين رودريكو

حين تنتهي الحياة في آخر قصيدة كتبتها

كان ليلاً، رغم أن الظلام قابع في الروح دائماً. لم يكن البرد شديداً، مع أن الطقس في "بوينس آيريس" في أيلول / سبتمبر يكون عادة قارساً. كان المطر قد انهمر في اليوم السابق، وما تزال الشوارع رطبة ببضع قطرات في غير وقتها. (اليخاندرا بيثرنيك 1936-1972)، ما فتئت ترقد منذ ساعات على سريرها تدخن لفافة تلو أخرى. فجأة تنهض وتُصلح شعرها الذي كان مُشعثاً بسبب الرقاد، تُطفئ عقب لفافتها في منفضة طاولتها الصغيرة وتسير ببطء نحو غرفة العمل في الشقة التي تمتلكها في "بوينس آيريس" في بناية مونتفيديو 980. وحالما تصبح هناك، تأخذ قطعة طباشير وتكتب أبياتًا على السبورة التي تتصدر حجرتها: "لا أريد أن أرحل سوى الى الأعماق".

كل المحفظات والدفاتر وكذلك الأوراق الغاصة بهوامش او قصائد، كانت محفوظة تقريباً بالترتيب ذاته الذي تركته "بيثرنيك".

كانت الأثر الأخير الذي تركته الشاعرة، فعثروا عليه بالكاد بعد أسبوع. في فجر 25 أيلول / سبتمبر من عام 1972 تناولت "اليخاندرا بيثرنيك" جرعة زائدة قاتلة من سيكونال الصوديوم وماتت. هبّت لمساعدتها صديقة، فحملتها الى مستشفى "بيروفانو"

بعـــد أن فارقت الحياة. كان الموت الذي كثيراً ما تذكره في حياتها وفي أعمالها، يبحث عنها في صيغة انتحار. الاصدقاء الذين ســـهروا على جثمانها في "نادي الكتاب الأرجنتيني" رددوا فيما بينهم في اليوم التالي همســـاً "كان حادثاً عرضياً، كان حادثاً عرضياً"، لكنه لم يكن كذلك أبداً، مثـــل الأبيات الأخيرة التي كتبتهـــا "بيثرنيك" على هيأة وداع، ورأت النور في المكتبات الإســـبانية مؤخراً بمجلد أنيق يحمل عنوان "قصيدة مُكتملة".

جمعت الشاعرة والمترجمة "آنا باكثوا" في هذا المجلد عدداً كبيراً من القصائد غير المنشورة التي كتبتها المؤلفة الارجنتينية في آخر مراحل حياتها (بين عام 1962 و1972) والمحفوظة في أرشـــيفها في "المكتبة العامة لجامعة برينثيتون". "هذا المجلد ليس نهائياً. إنه شـــذرات من الأخبار وفاءً لـ "اليخاندرا بيثرنيك" وإخلاصاً لعملها الوحيد الذي لا يتكرر". جميع المحفظات والدفاتر وكذلك الأوراق المليئة بهوامش او قصائد، كانت محفوظة تقريباً بالترتيب ذاته الذي تركته "بيثرنيك" والذي حاولت "باكثوا" الحفاظ عليه باحترام غير عاديٍّ.

كانت الشاعرة الارجنتينية دقيقة جداً في ترتيب أوراقها، وظلت هذه الروح معكوســـة بإتقان على ملاحظاتها في أسفل الصفحة التي كانت ترافق هـــذه "القصائد التي لم يجمعها كتاب". ومثل "في الليلة" التـــي تتصدر الكراس المؤرَّخ بـــين 1969 و 1970، او "بيت العقل" التي وُجدت في ورقة متفرقة في كراس مخطوطة بالقلم الحبر، إضافة الى الكثير مـــن الأبيات التـــي لُملمت في يوم مـــا في مجموعات مثل "الوطن"، "البريد الأدبي" او "أوراق الارمادانس" لـ "كاميلو خوسيه

ثيلا". "هذه الطبعة جاءت لتستدرك بعض الأخطاء الأولية في طبعة لومن" كشفت "باكثوا" في حديث عبر الإيميل مع أي بي سي.

موت قبل أوانه

كل قصائد "بيثرنيك" تدور حول محورين مُتناظرين: طفولتها في "بوينس آيرس"، المدينة التي شهدت ولادتها ولملمتها لتموت، وفتنتها بالموت الذي اختارته في نهاية الأمر. مع ذلك اعتبرت "بكثوا" أن (من المثير للدهشة أن يتواصل الإصرار في قصيدة "بيثرنيك" على أنها نوع من السيرة الذاتية تتعلق بشهيدة موجوعة، تشبه الى حدٍّ ما الصور المطبوعة التي يتسلمها القساوسة بعد القداس). فعلاً (حين يتم التطرق الى الشعراء الرجال، فإن الوسائل لا تنشغل كثيراً بمشكلاتهم الشخصية، فلا يثيرون زوبعة في أبياتهم ليُفسر بأن بعضهم إنما كان يكتب لأنه مدمن، زير نساء، عدائي او شره في التدخين. لا، لا، الشاعر الرجل هو قبل كل شيء، شاعر عظيم. و"اليخاندرا بيثرنيك" كانت شاعرة عظيمة، لأنها من جانب آخر ماتت بإرادتها) وعليه (إن موتها المُبكر، الطوعي او العرضي، لا يجب أن يُؤخذ بالحسبان عند مطالعتنا لكتاباتها)، وتضيف (كتابة قصيدة، وهي تدرك هذا جيداً، هو فعل خطير، إذ يُجازف بحياته ويُقْدِم على عمل مُغامر بإنجاز قصيدة).

لكن بعيداً عن الحدس الشعري، ما الذي كانت تبحث عنه "اليخاندرا بيثرنيك" في سطورها هذه؟ ربما تكون الإجابة هي مشابهة لما أدلت به عام 1964 (الكتابة عمل كثيف لا يُطاق وقد

يكون خانقاً، لكنه رابطة رقيقة تفسح طريقاً للتعايش البريء). مع ذلك، ومثلما تعلن "باكثوا" (كل واحدة من قصائدها هي حقيقة) وبدونها (لن نتمكن من العيش) (كتبت دون توقف من سن الخامسة عشرة بحرارة وصدق وتفانٍ وثقة بالنفس من أنها تسير في طريق الخلاص). من أجل ماذا كان عليها أن تخلّص نفسها؟ لا أحد يعرف، وربما لهذا السبب كانت تكتب.

أرشيفها

من حسن الحظ، أن أرشيف "اليخاندرا بيثرنيك"، والمُحافظ عليه على هيأة يوميات، مخطوطات يدوية، مراسلات، لوحات وأوراق أخرى، هو واحد من الأرشيفات التي يجد فيها الباحث والأكاديمي مُتعة لا تُضاهى. وحسب ما أدلى به "دون سي سكيمر" المسؤول عن مخطوطات المكتبة العامة لجامعة برينثتون، فإن "أورورا بيرناردث" أرملة "خوليو كورتثار" الصديق المقرب للشاعرة "اليخاندرا" سلّمته شخصياً الأوراق التي كانت تحتفظ بها في شقتها في باريس، وعملت على تعريفه بعائلة "بيثرنيك" للتواصل معهم.

ومنذ ذلك الوقت، ما فتئت أعمال الارجنتينية بالنمو، إذ عثر الباحث "باتريثيو فراري" في الأرشيف على مجموعة من القصائد التي كتبتها "بيثرنيك" في فرنسا، وستصدر قريباً باسم "القصائد الفرنسية". كانت القصيدة بالنسبة لها مثل "فسحة ينقلب فيها المستحيل الى الممكن"، مثلما كان موتها.

مقتطفات من "ضباب"

الكاتب الإسباني: ميغيل أونامونو

"الواقع المُتخيل! وهكذا لا أحد سيمتلك الحق للمطالبة بإبطال قوانين هذا الجنس الجديد من الأدب... أبتدع أسلوباً أدبياً، وإن ابتداع نوع جديد يكتمل بإطلاق اسم مناسب عليه، وأعطيه أنا القوانين التي تروق لي. وحواراً كثيراً!"

"صعب جداً أن يُضطر الى استغلال أحد الأشياء – فكر أوغوستو ـ واستخدامها. هذا الاستعمال يسيء بل يحطم الجمال كله"

"الذي يسافر كثيراً، إنما يهرب من كل مكان ولا يبحث عن كل مكان يصله"

"نحن البشر لا نستسلم الى المصائب الكبيرة ولا الأفراح العظيمة، لأن هذه المصائب والأفراح تأتي مُقنّعة بغيمة واسعة من الحوادث الصغيرة، وهكذا هي الحياة: غيمة. الحياة ضباب"

"نادي أنفسنا كما ينادوننا. في أزمان هوميروس كان الأشخاص والأشياء يحملون اسمين، الذي يُطلقه الانسان، والذي تُطلقه الآلهة"

"الحب يسبق المعرفة، وهذا يقتل ذاك"

"سهل جداً أن تتزوج، لكن من العسير أن تصبح متزوجاً"

"حين يجد الانسان نفسه معزولاً ويُغمض عينيه عن المستقبل

وعن الحلم، يتمرد عليه جحيم الخلود الساحق. الخلود ليس مصيراً. حين نموت، نمنح الموت نصف التفاتة ونشرع في المسير الى الخلف، الى الماضي، الى ما كان"

"ما يُسمى بالحب هو قصص كتب، شيء أُخترع ليُتكلم به ويُكتب عنه. حماقات شعراء. الايجابي هو الزواج. القانون المدني لم يتطرق الى الحب بل عن الزواج. كل ما يتعلق بالحب ليس سوى موسيقى"

"غالباً ما ينتهي الأمر بأن تكون لعبة لتخيلاتك"

"هل حيـاتي رواية، أم واقـع مُتخيل أم مـاذا؟ كل ما يحدث لي ويحدث لهم، هل هو حقيقة أم خيـال؟ ربما يكون هذا كله حلماً من الله او من كائن مَن يكون، سـوف يتلاشى حالما يستيقظ هو، وعليه نصلي له ونرفع له دعواتنا وتراتيلنا، لكي يظل غافياً، ويهدهد حلمه. ربما تكون طقوس الأديان كلها، طريقـة لتنمية حلم الرب حتى لا يستيقظ ويتوقف عن الحلم بنا؟"

"الحيـاة هي المـروّض الوحيـد للعيش. ليس هنـاك علم تربية يسـتحق. فقط يُتعلم للبقاء على قيد الحياة وكل إنسـان لابد أن يبدأ بالتمرن على الحياة من جديد..."

"حالما يتكلم الانسـان، يكذب، وحينما يتحدث الى نفسـه، أي حالمـا يفكر مُدركاً ما يفكر به، يكذب. ليـس هناك أكثر واقعية من الحياة الفسيولوجية. الكلمة، هذا النتاج الاجتماعي، صُنعت لأجل الكذب"

"الكلمة وكل أنواع التعبير الاصطلاحي مثل القبلة والحضن...

لا شيء نعمل سوى أن يمثل كلٌّ دوره. الجميع بشر، أقنعة وممثلون هزليون. لا أحد يعاني او يتلذذ بما يقوله ويعبر عنه، وربما يدّعي انه يستمتع ويعاني، وإلّا فلن يستطيع العيش. نحن هادئون جداً في أعماقنا. مثلي أنا الآن أقوم بمهزلتي لوحدي، مُمثلاً ومُشاهداً في الوقت ذاته. لا يموت سوى الألم الجسدي. الحقيقة الكبرى أن الإنسان الفيسيولوجي هو الذي لا يتكلم ولا يكذب"

"ربما لا يولد الحب إلّا بولادة الغيرة، هي التي تُلهمنا لنحب. بعشق امرأة لرجل او رجل لامرأة، لا يدركان هذه الحقيقة، ولا يذكرانها أمام أنفسهما، أي انه لا يُغرمان ببعضهما فعلاً، إلّا حين يرى هو بأنها تنظر الى رجل آخر، او هي تنظر اليه مثلما تنظر الى امرأة أخرى"

"هناك دموع تُنعش وتُفرح القلب، ودموع تُشعل وتخنق"

"حين وطئ الشارع ووجد السماء فوق رأسه، والناس يذهبون ويجيئون، بمشيئتهم او لمتابعة أعمالهم، دون أن يمعنوا النظر فيه حتى، او يكترثوا به لعدم معرفتهم به دون شك، شعر بأنه هو، تلك الأنا التي تنتسب الى "أنا هو أنا" فصار يتصاغر ويتصاغر، وينحسر في جسده باحثاً عن ركن صغير يتكور بداخله وأن لا يُرى مطلقاً. كان الشارع صالة عرض سينمائي، وشعر أنه أحد أفراد هذا العرض، ظل وشبح. وأن هناك دائماً حمامًا وسط هذه الحشود البشرية، ضياع في هذه الكتلة من البشر الذين يذهبون ويجيئون دون أن يعرفوه او حتى ينتبهوا اليه، يثير في نفسه الوقع ذاته لحمام مفتوح على الطبيعة وعلى

السماء وعلى زهرة الريح"

"لا أحد نتاج نفسه، إنما هو نتاج الآخرين"

"رؤية الأبناء يكـــبرون هو الأجمل والأكثر فظاعة، على ما أعتقد. لا تتزوج إذن يا أوغوســـتو، لا تتزوج إذا أردت أن تستمتع بشبابك الخالد"

"مـــا الذي تريد أن نفعله نحن الفقراء، ســـوى أن نُطعم الأغنياء أولادنا؟"

"أنا إنسان بسيط غاية في التواضع، عامل في الأفكار، أُلملم وأرتب الأشـــياء لكي يعرف الذين يأتون بعدي كيف يســـتثمرونها. العمل الانساني جماعي، ولن يكون راسخاً ودائماً بفرديته"

"الوقت الضائع لا يعود حاملاً المناسبات التي تبددت"

"أن تفكر هو أن تشك، ولا شيء سوى أن تشك. ممكن أن تؤمن، تعرف، وتتخيل دون أن تشـــك. لا الإيـــمان ولا المعرفة ولا التخيل يفترض الشـــك، لكن من غير الممكن أن تفكر دون أن تشـــك. من الشك، الذي هو من الايمان والمعرفة، يُخلق التفكير نشيطاً، متحركاً وحيًّا".

"حين يبحث أحدٌ عن حجج لتبرئة نفســـه، إنما يفعل بدقة عملًا آخرَ لا علاقة له بالتبرير أمام الله".

"القتل من أجل القتل، فقـــدان للصواب، على الأغلب من أجل التحرر من الكره الذي لا عمل له سوى إفساد الروح، لأن أكثر من

حاقد شُفي من غلِّه وحلّت عليه الرحمة وأحب ضحيته، حالما انتزع الكره منها. العمل السيِّئ ينطلق من الشعور السيِّئ، لأن القانون يخلق المذنب"

"أن تكون أباً، على أن لا تكون مجنوناً او بليداً، تُوقظ في نفسك أفظع ما في الانسان: الشعور بالمسؤولية"

"الزواج تجربة... نفسية، والأبوة كذلك... مَرَضية"

"كان يرغب بالانتحار لأنه كان نبعاً لمصائبه الشخصية"

"سمعت أن شخصاً ما خرج ذات ليلة مُسلحاً بمسدس وفي نيته قتل نفسه. ظهر بعض اللصوص وهجموا عليه لسرقته. تأهب للدفاع عن نفسه فقتل أحدهم بينما هرب الآخرون. وحين رأى انه اشترى حياته بحياة الآخر، تراجع عن هدفه"

"نعم أنا إسباني، إسباني الولادة والتعليم والجسد والروح واللغة وحتى المهنة والوظيفة، إسباني قبل وبعد كل شيء، والإسبانية ديني، والسماء التي أريد أن أؤمن بها، هي إسبانيا الإلهية الخالدة وإن ربي هو ربٌّ إسبانيٌّ، وإن ربَّ سيدنا دون كيخوته، هو ربٌّ يفكر بالإسبانية، وبالإسباني قال: ليكن النور! وفعله كان فعلاً اسبانيًّا..."

" المتشردون هم، الذين يقولون ما لا يفعلون، ولا شيء لهم سوى فقدان الوعي وخنق التفكير"

"معظم المنتحرين، قتلة مُحبَطون. يقتلون أنفسهم لفقدان الشجاعة في قتل آخرين.."

"...حضرتــك لا تريــدني أن أكون أنا، أن أخــرج من الضباب وأعيش، أعيش، أعيش، أن أرى نفسي، أسمع ذاتي، أشعر بي، أحس بكينونتي، أتألم، أكون: لمَ لا تريــد؟ لمَ عليّ أن أموت كائناً من وهم؟ يا ســيدي المُنشئ دون ميغيل، حضرتك ســتموت أيضاً، وتعود الى اللاشيء الذي خرجــت منه... رباه، هل ســتتوقف عن الحلم به! ستموت حضرتك، نعم ستموت شئت أم أبيت، ستموت حضرتك وســينقرض جميع الذين يقرؤون هذا القصة، جميعاً، جميعاً، جميعاً لا يبقى منهم أحدٌ"

"لا أســتطيع أن أموت. فقط يموت الحي، الــذي يعيش وأنا لا أســتطيع أن أموت لأني غير موجود... أنا خالد! لا خلود ســوى للذيــن لم يُولدوا ولم يوجدوا وأنا منهم. كائــن من خيال هو فكرة، والفكرة خالدة دائماً... الخالدون لا يعيشون، وأنا لا أعيش ولا أظل على قيد الحياة. أنا فكرة! أنا فكرة!"

"ما أغربه من حيوان، هذا الإنسان! لا يرى أبعد من أنفه. يداعبنا دون أن نعرف السبب ولا لماذا حين نداعبه أكثر ونستسلم له، يرفضنا او يعاقبنــا. ليس هناك طريقة لمعرفة مــا يريد، هذا إن كان يعرفه هو بنفسه. يظهر دائماً في هيأة أخرى بعيدة عن كينونته، وينظر من حيث لا ينظر، وكأن عالماً آخر يتبدَّى له. ومؤكد انه ما كان سيوجد، لو أن هناك عالماً آخر".



"خطة فلسفية"

للكاتب الإسباني: بيو باروخا

يحدث أن يُصاب أحدنا بالغثيان وخيبة أمل لعدم معرفة ما يفعله في الحياة، إذ يجد نفسه ضائعاً دون بوصلة ودون نور يتوجه اليه، او خطة يمتلكها. ما الذي يجب أن يُفعل في هذه الحياة؟ وأي اتجاه لابد من اتخاذه؟ إذا كانت الحياة أقوى من أن تجرف أحدهم، فإن مجرد التفكير فيها سيكون أعجوبة، شيء أشبه بعابر سبيل يتوقف ويجلس في ظل شجرة، شيء أشبه بالدخول الى واحة سلام، لكن الحياة غبية تخلو من العواطف والحوادث، على الأقل هنا. أعتقد أن الفكر في كل ناحية، مُتخم بالرعب كتعويض لعقم الوجود العاطفي.

- أنت ضائع – تمتم أتوريوث– هذا الفكر لا يقودك الى أي شيء جيد.

- سيقودني الى المعرفة والإدراك. هل هناك متعة أعظم من هذا؟ منحتنا الفلسفة القديمة واجهة مُدهشة لقصر. وخلف هذه الروعة لا توجد قاعات مثيرة ولا أمكنة بهيجة، بل سجون مظلمة تحت الأرض. تلك هي القيمة المتأصلة لـ "كانت" الذي رأى أن جميع العجائب التي اكتشفها الفلاسفة، خيالات وسراب، ورأى أن الواجهات الجميلة لا تؤدي الى أي شيء.

- يا له من اكتشاف! – همس أتوريوث.

- هائلاً. برهـــن "كانت" بأن المبدأين الخطيرين الْمُســـلم بهما فيما يخص الدين والأنظمة الفلسفية لا يُمكن إثباتهما: الله والحرية. والرهيب في الأمر هو إثبات عدم وجـــود دليل عليهما، رغماً عنه.

- وماذا بعد؟

- ماذا! كانت النتائج مُرعبـــة: إن الكون ليس له بداية زمنية ولا حدود فضائية. كل شيء خاضع لسلســـلة الأسباب والآثار، وإذ لم يكن هناك ســـبب أولي، فإن فكرة السبب الأولية، مثلما قال "شـــوبنهاور"، هي فكرة قطعة من الخشب مصنوعة من الحديد.

- إن هذا لا يُفاجئني.

- أمـــا أنا، فيُفاجئني. يبدو لي كما لو أننا أمام عملاق يســـير نحو هدف ويكتشـــف أحدهم بأن لا عيون له. أصبح العالم أعمى بعد "كانت"، وانحـــسرت الحرية والعدالـــة، وظهرت قوى هيمنتْ عـــلى الزمان والمكان تحت مبدأ الســـببية. ولم يتوقف خطر هذه الظاهرة عند هذا الحد فحســـب، بل ظهر أيضاً أمرٌ آخر انطلق للمرة الأولى وبوضوح من فلســـفة "كانت" وهو أن العالم ليس حقيقـــة، وأن هذا المكان وهـــذا الزمان ومبدأ الســـببية لا وجود له خارج أنفســـنا، بل هو مـــا نراه نحن في دواخلنا يمكن أن يكـــون مختلفاً، ومن الممكن أن يكونوا غير موجودين...

- أووف. غير معقول ــ تمتم أتوريوث

- كلا. انه ليس محالاً فحسب، بل انه عملي. كان بالنسبة لي من قبل، وجعاً كبيراً، اعتبار الفضاء مطلقاً والاعتقاد بأن العالم لا نهاية له، وولّد لديَّ انطباعاً كبيراً أن أفكر أن الزمان والمكان في اليوم التالي لموتي، سيظلان على ما هما عليه، مما سبَّبَ لي حزناً جعلني اعتبر أن حياتي ليست شيئاً مرغوباً به. لكني هدأتُ عندما أدركتُ أن فكرة الزمان والمكان ضروريتان لأرواحنا وأنهما ليسا حقيقة، وعندما صارت لديّ قناعة في "كانت"، في أن الزمان والمكان لا يعنيان شيئاً، على الأقل بالنسبة للأفكار التي لدينا عنهما، في عدم وجودهما خارج أنفسنا. من الممتع حقاً بالنسبة لي أن أفكر أن شبكية أعيننا تنتج ألواناً، وعقلنا ينتج أفكار الزمان والمكان والسببية. وبانتهاء عقولنا ينتهي العالم، وينتفي الزمان والمكان وقيود الأسباب وتنتهي المأساة بصورة مطلقة. يمكننا أن نفترض بأن الزمان والمكان سيبقيان لدى الآخرين. لكن هذا ليس مهماً ما دام ليس مُلكاً لنا.

- حسنٌ. خيالات! أوهام! – قال أتوريوث.

- بيو باروخا.

شجرة العلم 1911. كاتدرا.

"أسباب الاقتباس من سيغموند فرويد"

الكاتب الاسباني: خوسيه لازارو

يعمد "خوسيه لازارو" الى اختيار بعض الاقتباسات من سيغموند فرويد ليقدمها الى مجلة "مفاتيح الأسباب العملية رقم 242". وهكذا يمكننا أن نقرأ عبر رسـائل بعض الأصدقـاء والزملاء، من خلال كتبهم ومحاضراتهم، كلمات فرويد عن الجستابو، الشيوعية، الفلسفة، الجنس، الهسـتيريا، الأحلام، العلوم، الفكر النظري، الفن، والموت إضافة الى المواضيع المهمة الأخرى.

ولأجل السـماح لفرويد بالخروج من النمسـا، وقّعـه النازيُّون على تصريح بأنه عومل باحترام كبير من جانب السـلطات الألمانية (وخاصة الجستابو)؛ فكان كريماً في هذا الشأن.

عندمـا أحضر مفوض النازيـة الوثيقة، لم يـتردد فرويد بالطبع في التوقيع عليها، لكن سـأل عما إذا كان سيُسـمح له إضافة الجملة التالية: "من كل قلبي أستطيع أن أوصي الجستابو لأحد" (مُقتبس من آرنست جونز).

بالإضافة الى كونه كريماً، كان فرويد رجلاً تقدمياً على نحو جلي، كما يتضح من التعليق الذي أدلى به عندما بدأ النازيون بإحراق كتبه:

كانوا سيحرقونني في العصور الوسـطى، أما الآن فهم راضون عن حرق أعمالي. انه تقدم عظيم! (مُقتبس من آرنست جونز).

عندمـا كان طالبـاً يبلغ مـن العمـر 19 عاماً، كتـب لصديقه

سيلبرستاين ــ باللغة القشتالية الأولية القديمة التي تعلما قراءتها من سرفانتس ــ يوصيه بالدروس التي كان يرددها:

الفيلسوف برنتانو، الذي تعرفه من رسائلي، سيقرأ الفلسفة الأخلاقية ويطبقها من الساعة 8–9 صباحا، ومن المفيد أن تذهب للاستماع اليه، لأنه رجل عبقري وذو شأن، رغم أن الناس يقولون عنه انه يسوعي، وهذا ما لا أصدقه أنا، انطلاقاً من ثقتي بحكمي الشخصي بدلاً من شائعات الرب. (1875/ 09/ 19).

وأصبح نصف شيوعي:

فاجأني فرويد كثيرا حين قال إنه أجرى مؤخراً مقابلة مع شيوعي نشيط جداً، جعله يصبح "نصف" بلشفي، مثلما يُقال في ذلك الوقت. قالوا له إنَّ تسنم البلشفية لسياسة الدولة سوف يؤدي الى سنوات من البؤس والفوضى، يعقبه عصر من السلام العالمي، الازدهار والسعادة. وأضاف فرويد: "قلت له إنني آمنت بالنصف الأول من التنبُّؤ" (مُقتبس من آرنست جونز)

ومثلما يتوجب على فيلسوف مهني، سعى فرويد الى الاحتفاظ باليقين على الشك:

لقد بدأت أشك في نظرية اللذة ــ الألم ــ التي كنت قد أعلنتُ لك عنها بحماس متزايد، لشرح الهستيريا والتعصب الوسواسي. المكونات صحيحة بالطبع، لكني لم أتمكن بعد من وضع قطع اللغز في المكان المناسب. (رسالة الى فيليس، 31 تشرين الثاني/ نوفمبر 1895).

ولكن فطنته لم تمنعه من اللجوء في بعض المناسبات الى الفرضيات الخيالية الى حد ما:

أنــا في صدد محاولة عرض فكرة أن المتعة تنتج في كلا الجنســين، عن طريق إفراز المادة الذكورية لـ 23 يوماً، أما إجهاض المتعة فيكون من طريق إفراز مادة لـ 28 يوماً. (رســالة الى فيليس، 6 كانون الاول 1896).

ولم يكن غريباً أن يتوصل الى استنتاجات رائعة:

ينشأ العنصر الهستيري مباشرة من حبس الإثارة في الفعل الجنسي. (رسالة الى فيليس، 8 شباط / فبراير1893).

ومــن المحال أن يكون هناك مرض عصبــي في حال وجود حياة جنســية طبيعية. (وجهات نظــري حول دور الجنس في مســببات العصاب، 1906).

لم تكن استنتاجاته صحيحة دائماً من الناحية السياسية:

إن القصور الجنسي الطبيعي للمرأة يفسر ميلها الكبير للهستيريا. (مخطوطة K اختــلال الأعصاب الدفاعي، 1 كانــون الثاني/ يناير 1896)

في مسائل أخرى، لم يكن لديه الكثير من الأوهام:

لنعرف الوهم، إنه اعتقاد ناجم عن اندفاع لإشــباع رغبةٍ، بغض النظر عن علاقتها مع الواقع، تماماً كما يستغني الوهم عن أية ضمانات واقعية. (...) جميع العقائد الدينية، أوهام غير قابلة للإثبات ولا يجوز إجبار أي شــخص على تقبلها كوقائــع. (...) إن علمنا ليس وهماً. (مستقبل الوهم ، 1927).

على الرغم من دعوته الفلسفية، يُعد واحداً من العلماء التجريبيين.

سـيكون من المحبذ جداً من الفلاسـفة وعلـماء النفس الذين يطوِّرون نظريات مُسـتنبطة حول اللاوعي، انطلاقاً مما يسـمعونه او مـن خلال التعاريف التقليدية، أن يسـعوا قبلها الى الانطباعات المُستنتجة من ظواهر التفكير الاسـتحواذي، ومن الممكن أيضاً أن يُطلب منهـم القيام بذلك، إن لم يكن أصعب من أنواع العمل الذي اعتادوا عليه. (حالة من العصاب الوسواس، 1909).

إن صرامته العلمية لم تمنعه من تقييم التفكير النظري:

لا يمكننا الاستغناء عن الأشخاص الذين يجرؤون على التفكير في أشياء جديدة قبل أن يكونوا قادرين على إثباتها. (رسالة الى فيليس، 8 كانون الأول/ ديسمبر 1895).

ولكن مع القاعدة البيولوجية لنظرياته، كان لديه علاقات متقلبة الى حد ما:

يجب أن أؤكد، كإحدى سمات هذا العمل الخاص بي، استقلاليته المتعمدة في البحـوث البيولوجيـة. (ثلاث مقالات عـن النظرية الجنسية، مقدمة إلى الطبعة الثالثة، 1915).

كان يعود مراراً وتكراراً الى الحلم الدوائي:

ربما يعلمنا المسـتقبل كيف نؤثر بشـكل مباشر، عن طريق مواد كيميائية معينة، على كميات الطاقة وتوزيعها داخل الجهاز النفساني. ومن الممكن فتح احتمالات أخرى لا شـبهة عليها للعلاج. أما الآن فلا نملك أفضل من تقنية التحليل النفسي، وهذا هو السـبب الذي يحتم علينـا عدم تجاهله عـلى الرغم من قيودهـا. (مخطط التحليل النفسي، 1940).

لا يمكـــن القول بأنـــه كان يقدس آراءه القديمة، لأنه أشـــار الى تلميـــذه، التناقض بـــين طروحاته الجديدة وتلك التـــي نشرها قبل ثلاثين عاماً:

هذه المشكلة موجودة فقط لأنني كنتُ أكتب بسذاجة منذُ ثلاثين عاماً، دون أن أتوقع انه ســيتم قبــول كل التفاصيل والتركيز عليها بدقة شديدة مستقبلاً. (مُقتبس من س. بيرنفيلد).

حول الطريقة العلاجية، لم يكن لديه الكثير من الشكوك:

من خلال الكلمات يمكن للإنســان أن يجلب الســعادة للآخر، او يقــوده الى اليأس. عن طريق الكلمات، ينقل الاســتاذ معرفته الى التلاميذ، وكذلك الواعظ الذي يجر مســتمعيه وراءه، محدداً بذلك أحكامه وقراراته. الكلمات تهيج المؤثرات العاطفية وتشكل الوسيلة العامة للتأثير المتبادل بين البشر. (مقدمة في التحليل النفسي، 1917).

وحــول مواضيع الفن، كان يؤكد في بعض الأحيان أن ليس لديه ما يقوله، بينما قال في أوقات أخرى:

عندما لا نكون بحاجة الى جهازنا النفســاني للحصول على واحدة من الملذات التي لا غنى عنها، نسمح له بالعمل بشكل تلقائي من أجل المتعة، ونبحث عن طريقة لاستخلاصها من نشاطه الخاص. أشك أن هذا، بشــكل عام، هو الشرط الذي يخضع له أي نشــاط فني، بيد أني أعرف القليل جداً من الفن لمحاولة تطوير هذا التأكيد. (...) الإنسان "طالب متعة لا يعرف الكلل" ــــ لا أتذكر عند أي مؤلف وجدت هذا التعبير الســعيد ــــ إن كل تراجع عن اللذة التي اســتمتعت بها، تعود عليه بنتائج صعبة. (النكتة وعلاقتها باللاوعي، 1905).

وأوضح فيما يخص مسألة الموت - كما هو الحال في العديد من الأمور الأخرى- يميز اللاشعور بشكل جيد جداً بين نفسه وبين الغريب:

في الأعماق لا أحد يؤمن بموته، على الأقل في اللاوعي لأننا جميعاً مقتنعون بخلودنا (...). الإنسان البدائي تبنَّى أمام موت الآخرين، الغرباء أو الأعداء، موقفاً يختلف جذرياً عمن قبله. موت الآخرين كان بالنسبة اليه لطيفاً. كان يعني له إبادة شيء مكروه لم يتورع عن استفزازه (...). التاريخ العالمي الذي يدرسه أبناؤنا ليس، في الأساس، أكثر من سلسلة من جرائم قتل الشعوب (...) ما بداخلنا دافع يحاول باستمرار قمع كل أولئك الذين يعوقون مسارنا، أساؤوا لنا او تسببوا بأذيتنا. وغالباً ما تتردد على شفاهنا هذه العبارة "وهكذا فليذهب به الشيطان"، على سبيل المزاح الذي نغطي به مزاجنا السيِّئ، والذي يعني في الواقع، "وهكذا فليأخذه الموت". إنها في اللاوعي، رغبة موت خطيرة وعنيفة. جرائم القتل غير الواعية لدينا، في الواقع، تشمل حتى التفاهات (...). إن أي ضرر يلحق بـ "الأنا" المستبدة كلية القدرة، هو، في النهاية، جريمة لصاحب الجلالة. (الاعتبارات الحالية بشأن الحرب والموت، 1915).

- خوسيه لازارو هو أستاذ العلوم الإنسانية الطبية في UAM. مؤلف كتاب "حياة وموت لويس مارتين سانتوس" و "عنف المتعصبين".

"نصوص مُنتقاة"

للكاتبة الفرنسية: سيمون دي بفوار

"... هناك نساء دائماً، وبسبب تركيبتهن الفسيولوجية، كنّ منذ قديم الزمان خاضعات للرجل أبداً. إن استقلالية المرأة لم تتأتَّ نتيجة واقعة معينة أو حدث ما أو شيء قد وصل، بل ظهرت هنا على أنها ضرورة حتمية، لانتقالها جزئيًّا من الطابع العرضي للفعل التاريخي. إن أية حالة خُلقت عبر الزمن، يمكن أن تتفكك في الزمن اللاحق (...). أما الحالات الطبيعية فلا يمكن أن تكون بديلاً. الحقيقة إن الطبيعة ليست فرضاً غير قابل للتغيير، وفي نفس الوقت هي ليست حقيقة تاريخية. إن اعتُبرت المرأة شيئًا ثانويًّا لا يمت بصلة الى ما هو جوهري، فلأنها لم تقم بنفسها بهذه الخطوة".

"الانسان يسمو على الحيوان بالمجازفة في حياته، لا في منحها. وعليه فإن البشرية تذكر بتفوق الجنس الذي يقتل وليس الذي يتناسل".

"لدينا هنا مفتاحٌ لكل ما هو غامض [...] الرجل يضمن تكرار **الحياة** بتفوق **الحياة** من خلال الوجود، وبواسطة هذا السمو يخلق فروضاً تدين كل القيم التي تقلل من شأن التكرار النقي [...] وإذا تساءلنا كيف يمكن لمتفوق أن يشارك المرأة ذاتها، باعتبارها كائناً موجوداً أيضاً، وإنها هي أيضاً مصدر تفوق، ومشروعها لا يكمن في الإعادة، بل إن سعيها الراقي في خلق مستقبل آخر، إذ تجد أيضاً

في قلب كينونتها تأكيداً للمطالب الذكورية [...] ومن سوء حظها، أنها كُرست بيولوجيًّا لإعادة **الحياة**".

"تمكن الرجل شيئاً فشيئاً من مراقبة تجاربه، وانتصر مبدأ الذكر في حضوره وفي وجوده العملي. **الروح** جعلته ينتصر على **الحياة**، والتفوق على الجوهر، والتقنية على السحر والمنطق على الخرافة. إن نقص المرأة يمثل مرحلة ضرورية في تاريخ البشرية، لأن مكانتها لا تكمن في قيمتها الإيجابية فحسب، بل في ضعف الرجل، إذ تتجسد فيها أسرار الطبيعة القلقة، فيما يتنصل الرجل من سلطته عندما يتحرر من الطبيعة".

"وهكذا لم يكن انتصار الأبوية وليد صدفة، ولا نتيجة تطور عنيف. منذ نشأة الإنسانية، سمح امتيازها البيولوجي للذكور أن يؤمنوا بأنفسهم كهيئات سيادية، ولم يتنازلوا عن هذا الامتياز مطلقاً، (...) مع ذلك، من المحتمل أن تكون المرأة قد حققت مع الرجل انتصاراً على الطبيعة، لو أن العمل المنتج كان مناسباً لمقاس قواها (...) لكن الكارثة التي حلّت بها، بعد أن حيل بينها وبين العمال كشريكة في العمل، كانت تكمن في استبعادها عن العامل البشري: وهذا الاستبعاد لا يُفسر بسبب أن المرأة ضعيفة وقدرتها الانتاجية واطئة، بل لأن الذكر لم يكن يعترف بها مُكملة له ولا هي شاركته طرق العمل والتفكير، فظلت خاضعة لغموض الحياة، ونتيجة لذلك لم يتبنَّها ولم يحافظْ على امتداد الآخر أمام عينيه. لم يكن الرجل قد فعل شيئًا سوى انه تحول الى طاغٍ. إن إرادة الذكر في التوسع والهيمنة جعل من عجز النساء، لعنة".

الجنس الآخر (1949، منبر 2005)

" ولأن الانســان هو السمو، فلن يستطيع مطلقاً أن يتخيل الجنة. إن الجنة هي الراحة، الســمو المرفوض، حالة من الأشياء الممنوحة دون تفــوق محتمل. لكن في حالة كهذه، ما الــذي نفعله؟ ولكي لا يكون الهواء خانقاً، سيكون من الواجب أن نتقدم نحو الأفعال، نحو الأمنيات التي بدورها ستضطرنا الى التفوق: وبذلك ستنتفي كينونة الجنة. إن جمال الأرض الموعودة أنها تســمح لوعود جديدة. الجنات الثابتة لا يمكن أن تَعِدَ بسوى ملل أبدي (...) .

إذا كان الله هو المطلق، والملأ الوجودي، فلا وجود للمســافة بين مشروعه وبين كونه حقيقة، لأن إرادته هي الركن الأســاس الثابت لكينونته. ما يشاؤه، يُنفّذ. هذا الرب ليس شخصًا بمفرده، إنه الكون كله، الثابت بأجمعه. والكون صامت... إن كماله لا يعطي ممنوحًا. في الحالة هذه، الإنسان ليس ســوى حادث عرضي على واقع كينونته، إنه على الأرض مثل مكتشــف تائه في الصحراء، يمكن أن يتجه الى الشــمال أو الى اليمين، ومن الممكن أن يتجه حيثما يريد، ولن يذهب الى أي مكان أبداً لأن الرمال ستغطي آثاره ".

بيرو وثينيس 1955

جميل بصورة غير طبيعية هذا المخطط الأولي للمدينة المهجورة على مدى البصر والغافية في قرية على هامش القرون. استندت على مقعد نصف دائري وصعدت عبر الســلالم الخارجيــة للسرادق المركزية. تأملت لفترة من الوقت، الجلال المهيب لهذه المنشآت المبنية لأهداف

ربحية التـــي لم تصُبَّ في منفعة ما أبداً. كانـــت متينة وحقيقية، لكن هجرها جعل منها صورة خيالية، وقد يتســـاءل أحدهم عن السبب. إن الأعشـــاب التي نمت باردة تحت ســـماء الخريف ورائحة أوراق الاشـــجار الميتة، كانت تؤكد لي أنها لم تغادر هذا العالم فحســـب، بل تراجعت مائتي سنة الى الوراء. بحثتُ عن بعض الأشياء في المركبة. فرشـــت غطاءً وبعض الوسائد وقمتُ بتشغيل المذياع. بدأت أدخن مستغرقاً في الاستماع الى موزارت. بعد التطلع الى اثنين او ثلاث من النوافذ المُغبرة، تبدت الحقيقة: إنها مكاتب دون شك. توقفت شاحنة أمام أحد الأبواب، خرج بعض الرجـــال وحمّلوا مؤخرتها حقائب. عدا هذه الحادثـــة الصغيرة لم يغتصب اضطجاعـــي ولا حتى زائر. وحين انتهت الحفلة الموســـيقية عمدتُ الى القراءة. وراودني شعور مزدوج بالغربة: ذهبتُ بعيداً حيث أمواج نهر مجهول، وحين رفعت نظري وجدتني وسط هذه الحجارة، بعيداً عن حياتي " .

المرأة المكسورة (1968) إدعاسا 2007

رسالة من سيمون بوفوار
الى جان بول سارتر

عزيزي الكائن الصغير

أريد أن أقص عليك شــيئاً لطيفاً وغير متوقــع تماماً، حدث لي: منذ ثلاثة أيام اضطجعت مع "بوست" الصغير. كنت أنا بالطبع مَن اقــترح عليه، فاضطرمت الرغبة في كلينا. أجرينا خلال النهار بعض المحادثات الجديــة، بينما أصبحت الليالي ثقيلة عــلى نحو لا يُطاق. في إحدى مزارع " تيجنس " وفي ليلة ماطرة ، اســتلقينا على ظهورنا تفصل أحدنا عن الآخر عشرة ســنتيمترات. كنا نطالع بعضنا لأكثر من ساعة متلفعين بذرائع مختلفة لإبعاد شبح وقت الذهاب الى النوم. وفي نهايــة الأمر بدأت أضحك بحماقة ناظرة إليه، فقال لي: "ما الذي يُضحككِ؟" فأجبته "كنتُ أتســاءل أية ملامح تصطبغ لو اقترحت عليكَ أن تنام معي". رد: "كنــتُ أفكر بأن حضرتك كنتِ تعتقدين بأن لــديّ رغبة في تقبيلك ولكن تنقصني الجــرأة ". وانقضت ربع ســاعة ثقيلة على كلينا قبل أن يتجرَّأ على تقبيــلي. فاجأته كثيراً حين صرَّحت بأني كنت أشــعر بالحنان الوافر اتجاهه، فاعترف الليلة بأنه كان يحبني منذ زمن. احتضنته بحنــان. وقضينا معاً نهارات غرامية وليــالِ عاطفية. يبــدو لي أنه أمر كثيف وثمين، ولــه مكان مثالي في حياتي: النتيجة الســعيدة لأية علاقة، كانت تُفرحني دائماً. الى اللقاء عزيزي الكائن الصغير. السبت ســأكون على رصيف المحطة، وإن

لم أكن هناك، فســأكون في الحانة. لديّ رغبة أن أقضي أسابيع طويلة معك، سوية.

أقبلكَ بحنان

قندستكَ

أفكار مُقتطعة

"مشكلة المرأة كانت دائماً مشكلة الرجال".

"سر الهنـــاء في الحب يكمن في أنك تكون أقل بصيرة من أن تغلق عينيك كلها عند الحاجة " .

" من المستحيل أن تواجه مشكلة بشرية بعقل خالٍ من الوهم".

"ما يزال الجمال أصعب من أن يُفسر، من السعادة".

"الفتنة هو ما يشرع الآخرون في امتلاكه حتى يبدؤوا في تصديقه".

"إن تجاعيد الجلد، شيء عسير على الوصف، يتأتى من الروح".

"لا يوجد مــوت طبيعي: لا شيء مما يحدث للإنســان، طبيعي، ما دام مجرد وجوده يجعل العالم في موضع تســاؤل. الموت، حادث، وحتى لو عرفه الانسان وتقبله، فهو عنف غير لائق".

"ما تعنيه كلمة ناضج؟ طفل منفوخ بالسنين".

"الشيء الأكثر فضيحة في الفضيحة، هو أن يعتادها الفرد".

"لا تاريخ للناس السعداء".

"من المُباح أن تنتهك ثقافة ما، لكن بشرط أن تنجب منها طفلاً".

"تبدو لي الأرض وكأنها غير صالحة للســكن، إن يكن هناك مَن يُعجب بها".

"طول العمر هو مكافأة على الفضيلة".

"إن طبيعة الانسان شريرة، وطيبته ثقافة مُكتسبة".

"ما الذي تُضمره في جوفك سوى الكذب؟ وما هو التصرف الطيب، سوى أن تكذب بقناعة؟".

"ليس هناك مصير بيولوجي أو مادي أو اقتصادي يحدد الشكل الذي تكون عليه أنثى البشر في كنف المجتمع. الحضارة هي التي تصنع هذا الانتاج الوسيط بين الذكر وبين الخلاصة التي تُصنف على أنها أنثى".

"من خلال العمل، بدا كأن المرأة استطاعت تجاوز المسافة التي تفصلها عن الرجل. العمل هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يضمن حرية كاملة .

"اليوم الذي تتمكن فيه المرأة من أن لا تحب من خلال ضعفها بل من خلال قوتها، ولا تهرب من نفسها بل تعثر على ذاتها، ولا تُقلل من شأنها بل تؤمِّد هويتها، في ذلك اليوم سيكون الحب لها، كما بالنسبة للرجل، نبع حياة وليس خطراً مُميتًا".

"في اتجاه ما، إن سر التجسد يعيد نفسه في كل امرأة، وكل طفل يُولد هو إله يصبح رجلاً".

"فقط حين تشعر النساء بوجودهن على هذه الأرض وكأنهن في منزلهن، تظهر عندها زهرة لوكسمبورغ ومدام كوري. ويُظهرن بصورة مُذهلة بأن دونية النساء لم تكن السبب الذي حدد عدم أهميتها".

"الجسد ليس شيئاً أو حالة ما: إنه فهمنا للعالم ومخطط مشروعنا".

"أنا أكثر ذكاءً، أكثر مطلبية وأكثر عبقرية من أن يهتم بي رجل. لا أحد يعرفني أو يحبني تماماً. أنا أمتلك نفسي وحسب".

"لا أحد أكثر تكبراً أمام النساء، أكثر عدوانية او ازدراءً من الرجل الذي يشعر باحترام شديد لرجولته".

"عش بطريقـــة بعيدة عما تفعله من توبيخ أو إدانة الآخرين الذين حولك".

"رافائيل سانجيث فيرلوسيو، حجر الهيكل الأخير"

يطلقون اسـم "حطام" على كل ما تبقى من سـفينة غارقة. هذا التعريف غير دقيق تماماً، لأن رافائييل سـانجيث فيرلوسـيو (روما 1927) والحائز على جائزة سرفانتس 2004 هو حطام بشري لما تبقى من نفسـه، وبعيداً عن غرق المركب. رأيته ذات مرة يسـير في الحي المدريدي ببذلته الغامقة من الزمن الجميل، ربطة عنقه، قبعته النازلة على الحاجبين، حقيبته وقناع الوقاية من التلوث يغطي به فمه، ينفث من خلاله جملاً واستفزازات كثيرة. أما تحيات الاحترام والإعجاب التـي يتلقاها أثناء عودتـه الى البيت، من قبـل أصحاب الدكاكين ومحـلات البقالة والحراس، فإنها تدل على أنه ما يزال يُبحر على نحو عالٍ جـدا في مهنته. حين تتأمله عن كثب أثناء مروره، تعجب كيف لرجل مثل "سـانجيث فيرلوسيو" يبلغ من العمر 88 عاماً، **قادرٍ على تحويل انهيار عمره الجسدي الى شـكل من أشكال الأناقة والاغراء.** فعلاً، حين يسـتوطن الخراب التقليدي، فلا يعـد هناك شيء أكثر صلابة وجمالية مـن حجر البناء المربع الأخـير ذاك الذي منه تظهر السـحالي لتدل على أنه المـكان الذي قبع فيه مسـكن او قبر الملك. وحسـب الثقافة الإسبانية الحالية، يُعد "سـانجيث فيرلوسيو" هذا الحجر.

شيء مختلف تماماً يحدث حينما تحـاول أن تصل الى جوهر فكرته

المكتوبة، لأنك في حالة كهذه، لابد أن تخدم نفسك بطريقة غواصة الأعماق. "سانجيث فيرلوسيو" صنع نسيجاً أدبياً بحبكة منعطفة مليئة بالعقد التي يمكن أن تحملك الى الاختناق إذا ادعيت أنك تصل الى نهاية الفقرة دون أن تأخذ نفساً. لكن ما أن تضطجع على سرير ذاكرته، حتى تجد الكنز: "سانجيث فيرلوسيو" الطفل ذو الأربع سنوات يجلس على ركبة صديق وزميل أبيه، خوسيه انطونيو بريمو دي ريفيرا مؤسس "الكتائب"، وذكرياته عن روما، حيث عاش الحرب الأهلية وهو فتى مغرم بطفلة يهودية ثم مروره بجامعة كومبالتانسا في مدريد حيث أسس خارج محاضرتها الدراسية مع زملائه: اغناثيو آلدكاو، آلفونسو ساستره، خسوس فرنانديث سانتوس وكارمن ماراتين غايتيه (التي تزوجها فيما بعد) أخوية آوت تمرُّدهم في حيوانات مقهى "خيخون" المحشوة من خلال التهامهم لفول القردة وشرب النبيذ الأحمر الرديء، حصاد الواقعية الاجتماعية والسنوات الخمسين في وحل الوهدة الذي يُعتبر أيضاً النجاح المُفرط لروايته **"الخاراما، جائزة نادال 1955"** التي تسببت في تشريفات كريهة انتهت بفتح عيونه. **"كتبتها ارضاءً لمناهضي حركة فرانكو. لم يعجبني شبابي ولا نضوجي، أخجل منهما كثيراً"** يؤكد.

ليذهب كل هذا الى الشيطان. يُقال إن سانجيث فيرلوسيو سقط من حصانه حين وجد نفسه أمام كتاب "نظرية اللغة" للكاتب كارل بوهلر الذي كشف له كل ما يحتويه الأدب من مماطلة وزيف مهما كان لامعاً او سطحياً، إذا لم يُتعمق به. المحادثة تمكنت من إقصائه كثيراً، ربما عن "ديونيسيو دي تراثيا" مؤسس لبنة القواعد الذي عاش في

القرن الثاني قبل الميلاد. لكن دون شك كان أساتذته "كارل بوهلير، ماكس ويبر وثيودور ادورنو" هم الذين حملوه على الإيمان بأن الجمال الأدبي رهين بنائه أكثر من كلماته، **فأقترح سانجيث فيرلوسيو التعمق فيه حتى امتلاك سره بمساعدة الفيتامين المُنبه.**

إن حللته جيداً، فإن "ســـانجيث فيرلوسيو" ككاتب يشبه ما كان عليه في الرسم "سيثاني" الذي صاغ لوحاته حسب مخططات متوازية بملعقة الرســـام التي يذهب بها الى أعماق المـــادة لتدميرها ثم نفحها روحًا. ومن هـــذا الخراب، وُلدت التكعيبية. وبالطريقة ذاتها، **ينفتح تفكير هذا الكاتب، موزعاً الفعل نحو المُكمل المباشر أو المسند إليه،** فيصـــل بسرعة الى مفـــترقٍ يفرض مروراً مختلفاً، وفق مســـار يجري اختياره للمضي قدماً، وأحياناً في الاتجاه المعاكس.

هناك عدة فوارق دقيقة تتبـــادر الى الذهن في تلك اللحظة، وكل واحدة تتطلب جملاً ثانوية تفتح الطريق أمامه. إن تشابك الفكر يقع في خلط مع متغيرات أخرى، حسب ما يحصل صباحاً، عند الوصول الى عمق التركيبة اللغوية، إذ يتحول بناء الجملة الى علم جبر، والفعل ينطلق مثل ســـهم في قلب الهدف. كل هذا الإطار يتغير ليصير جملة، أو صـــوت منبه، أو خطابًا لاذعًا، أو تحليلًا مفاجئًا باســـتمرار حول الوقت الآني، أو حول فعل يختفي في ظلمات الزمن.

إن كل مـــا هو فـــارغ، أو مُقلّـــد، أو أدبي، أو وطنـــي، أو لامع بالمواضيع والأماكـــن العامة يبقى للآخرين. باعتـــماده على المنطق، يستهين "سانجث فيرلوســـيو" بالخيال. ويعطي إحساساً بأنه يتعمق

بصورة زاهدة، في دراســة اللغة، ليس من أجل متعة العلم الواسع، ولا من أجل تذوق نكهة معرفة الأشــياء التي لا تهم أي أحد، وإنما بهدف إضفاء الهيبة على صوته، تاركاً وراءه تلك التصورات التافهة، ومطالباً بكل سلطة ســاعة إصدار أحكام غير قابلة للطعن، لكونها تنبثق من عمق التركيبة النحوية التي تكمن الجمالية فيها. **الحقيقة، إن وُجدت الحقيقة فعلاً، تكمن في جملة ثانوية.**

أما فيما يخص الباقي، فإن "سانجيث فيرلوسيو" يحتفظ بالثانويات لتفكيره وبغير الثانويات لشخصيته. كما أن الغضب يجعل شعيرات حاجبيه تنتصــب، فيركز أكثر على المظهر أمــام تفاهة الحياة وتفاهة بعــض الناس. **لهذا، عندما يمشي "سانشــيز فيرلوســيو"، عبر حي "لابروســبيريداد"، بقناع على فمه، فإنه يشــبه "دينيس دي تراسيا"،** معلم مدرسة "روداس"، الذي يسجل ملاحظات في مذكرة صغيرة متكئًا على غطاء الســيارات التي ســتتحول فيها بعد الى حطام سفن مغمورة، أو أحجار بناء، أو أعمدة مأخوذة من خراب حقل المكانس.

السيرة الأدبية

- حسين نهابة

- مُترجم وشاعر وكاتب

- تولد 1966

- ايميل: info@ebjed.com

- ايميل: husseiny10@yahoo.com

- رقم الجّوال: 009647831010190

- رئيس مؤسسة "ابجد" الثقافية.

- رئيس مجلس إدارة صحيفة الأديب الثقافية 2018

- رئيس مجلس إدارة مجلة "كلكامش" لعامي 2010 و 2011.

- عضو جمعية المترجمين العراقيين.

- عضو اتحاد الادباء والكتّاب العراقيين.

- عضو اتحاد أدباء وكتّاب جمهوريات يوغسلافيا.

- مسؤول النقابة الوطنية للصحفيين العراقيين - فرع بابل

- خريج كلية اللغات لغة اسبانية 1988

- خريج كلية التربية لغة انكليزية 2004

- أحد عشر كتابًا مُترجمًا من اللغة الإسبانية الى اللغة العربية:

1. البحّار الصغير - رواية 1987 - بغداد - وزارة الثقافة والاعلام.
2. عاصفة في الكون - رواية 2010 - لبنان - دار المختار.
3. الانهيار - رواية 2011 - لبنان - دار المختار.
4. القرود الذهبية الثلاثة - رواية 2012 - بغداد - دار الخيال.

5. امبراطورية ري – افاراكس – رواية 2013 – لبنان – دار المختار.

6. في القصــة العراقية عبد الله نيــازي أنموذجا – نقد 2014 – لبنان – دار المختار.

7. رحلة الدوقة آنا – رواية 2015 – لبنان – دار المختار.

8. العاقر – مسرحية – فدريكو غارثيا لوركا 2017 – مصر/ الإســكندرية – دار النوارس

9. ديوان شــجرة ديانا للشــاعرة الأرجنتينية اليخاندرا بيثارنيك 2018– المغرب العربي – دار الموجة.

10. "انوار بوهيميا" – مسرحية – الكاتب الأسباني رامون ديل فايه انكلان 2018 – دار الدراويش للطباعة والنشر/ بلغاريا.

11. ديوان الأعمال والليالي وقصائد أخرى للشاعرة الأرجنتينية اليخاندرا بيثارنيك 2018– العراق – دار سطور.

– كتابان مُترجمان من اللغة العربية الى اللغة الاسبانية:

1. "اخيرا منحني النقاد وســام النســيان" ديوان الشــاعر العراقي حسن الخرساني. 2018.

2. "حكايا الطاووس والثعلب" قصص للأطفال – الكاتبة العراقية ذكرى لعيبي. 2018.

– كتاب مُترجم من اللغة العربية الى اللغة الانكليزية:

1. "حكايا الطاووس والثعلب" قصص للأطفال – الكاتبة العراقية ذكرى لعيبي. 2018.

– سبعة دواوين شعرية:

1. تجليات عطشــى طبعة أولى 2014 – سوريا/ السويداء – دار ليندا عبد الباقي، طبعــة ثانية 2016 – بغــداد – دار ميزوبوتاميــا. تُرجم الى اللغة الفرنسية، اللغة الانكليزية، اللغة الاسبانية واللغة الصربية.

2. طقوس ما بعد الأربعين 2015 – بغداد – دار ميزوبوتاميا.

3. فجر التعاويذ 2016 – مصر/ القاهرة – مؤسسة بداية.

4. مائة شيبة وشيبة 2016 – لبنان – دار المختار.

5. صلاة الغائب 2017 – مصر/ الإسكندرية – دار النوارس.

6. خلخال غجرية 2017 – سوريا/ دمشق – دار نينوى. تُرجم الى اللغة الاسبانية.

7. اعذرني إن لم أُودّعك 2018–بلغاريا/ دار الدراويش للطباعة والنشر.

- مسرحيتان:

1. "زفرة العربي الأخيرة" 2017 – مصر/ الإسكندرية – دار النوارس. تُرجمت الى اللغات الفرنسية والانكليزية والإسبانية.

2. مسرحية "عائشة الحرة" طبعة أولى 2017 – مصر/ الإسكندرية – دار النوارس. طبعة ثانية 2018 – بغداد/ وزارة الثقافة العراقية/ دائرة الشؤون الثقافية. تُرجمت الى اللغات الفرنسية والانكليزية والاسبانية.

- كتب تأريخ توثيقية:

1. كتاب تأريخ توثيقي نقدي "تمائم حميد سعيد" 2017 – سوريا/ دمشق – دار نينوى.

2. كتاب تأريخ توثيقي نقدي "أساطير ناجح المعموري" 2018 – سوريا/ دمشق – دار تموز.

3. كتاب تأريخ توثيقي نقدي "متون بابلية – جبار الكواز وصلاح السعيد" 2018 – سوريا/ دمشق – دار تموز.

- جوائز:

1. حائز على المرتبة الأولى لمهرجان ميزابوتيميا العالمي في بلغراد عام 2017.

2. حائز على المرتبة الأولى لمسابقة ترجمة القصائد الشعرية الأولى (من الإسبانية الى العربية) لجمعية المترجمين العراقيين عام 2018.

3. حائــز على المرتبة الأولى لمســابقة ترجمة القصائد الشــعرية الثانية (من العربية الى الاسبانية) لجمعية المترجمين العراقيين عام 2018.

- السينما:

1. مدير انتــاج الفيلم القصير "لا تخبروا انجلينا جــولي" الحائز على جائزة "لجنة التحكيم" لمهرجان ايام دمشق السينمائية 2018، وجائزة أفضل مونتاج في مهرجان الساقية بمصر 2018، وجائزة الإبداع (وزارة الثقافة والسياحة والآثار) لأفضل فيلم روائي قصير لعام 2018.